مجلة علم النفس التطبيقي
قسم علم النفس - كليـة الآداب، جامعة المنوفية

التسلطية والتعصب وطاعة السلطة والقتل الجماعي من منظور علم النفس الاجتماعي السياسي

إعداد
أ.د. البشير معمرية
أستاذ القياس النفسي ومناهج البحث النفسي (سابقا)
جامعتا الحاج لخضر . باتنة، ومحمد الأمين دباغين . سطيف (الجزائر)

المجلد (٢) العدد (٢) يناير ٢٠٢٤ م

التسلطية والتعصب وطاعة السلطة والقتل الجماعي
من منظور علم النفس الاجتماعي السياسي

إعداد

أ.د. البشير معمرية

أستاذ القياس النفسي ومناهج البحث النفسي (سابقا)

جامعتا الحاج لخضر . باتنة، ومحمد الأمين دباغين . سطيف (الجزائر)

ملخص.

تناولت الدراسة مفاهيم التسلطية والتعصب وطاعة السلطة وما ينجر عن ممارسات في إطار هذه المفاهيم من جرائم القتل الجماعي. وطرحت الدراسة مجموعة من الأسئلة: ما التسلطية؟، ما التعصب؟، ما طاعة السلطة؟، هل التعصب وليد التسلطية فقط؟، ما النتائج التي توصل إليها ميلغرام؟، هل يمكن تفسير القتل الجماعي الذي حدث ويحدث في أماكن مختلفة من العالم بمفاهيم التسلطية والتعصب وطاعة السلطة؟.

حاولت الدراسة الإجابة عنها من خلال دراسات: أدورنو وزملائه حول التسلطية من خلال مقياس الفاشية، واستخراجه لتسع سمات تتعلق بالشخصية التسلطية. وعوامل نشأتها كالتنشئة الأبوية، ثم دراسات ألتماير. والعوامل الثقافية لنشأة التمييز العنصري والتعصب. ومفهومه عن التسلطية اليمينية، وعن مفهومي النزوعية والموقفية في التمييز العنصري والتعصب. وكذلك بحوث ألبورت حول التسلطية والتعصب. وخصائص الشخصية التسلطية.

وسلوك طاعة السلطة في معمل تجريبي ونتائج التجربة على سلوك الطاعة. والنتائج المتعلقة بحالات المبحوثين والمتعلمين. كما تناولت حالة طاعة السلطة والإبادة الجماعية في رواندا. والفروق بين ما يحدث في الواقع فيما يتعلق بطاعة السلطة والإذعان لها وممارسة القتل الجماعي، وما جرى في تجارب ميلغرام، والفرق كذلك في بعض العوامل مثل: تقليل القيمة وغياب الكراهية في تجارب ميلغرام، والفرق بين ما يعرفه المبحوثون في التجربة وما

يعرفه من يمارسون القتل الجماعي. وهناك تحمل المسؤولية الجماعية في القتل الجماعي أي الشر المنظم جماعيا. وفي تقويم تجارب ميلغرام، تبيّن أنها لم تستطع تفسير عمليات القتل الجماعي والإبادة الجماعية.

كلمات مفتاحية: تسلطية – تعصب – طاعة السلطة – ابادة جماعية – علم النفس السياسي.

مقدمة

شغل موضوع التسلطية Authoritarianism الباحثين الغربيين، وكان موضوع دراسات عديدة لـ: ليفين، فروم، ماسلو، شافتر، ميد، سانفورد، فرنكل برونسويك، ليفنسون، وأدورنو. كشفت عن وجود علاقات متشابكة بين التسلط واتجاه التعصب ضد الجماعات الخارجية (لطفي دياب، ١٩٦٥، ٢٢٠).

بدأ البحث في التسلطية بدراسة التعصب الاجتماعي للإشارة إلى الاتجاهات المضادة للديمقراطية على مستوى الشخصية، وأشار الباحثون على المستوى النظري إلى أن التعصب يحدث غالبا كسبب من زملة أعراض الشخصية الفاشية. (عبد الرقيب أحمد البحيري، ١٩٨٩، ٢٤٩).

في عام ١٩٤٤، بدأ مفهوم الشخصية التسلطية في الظهور، في الوقت الذي كثر فيه النقاش حول قضية سياسية هي قضية النزاع بين الفاشية والإيديولوجيات المناقضة لها. وبناء عليه، كانت الحاجة ملحة إلى تأكيد ديناميكيات الشخصية، لكي تكون تفسيرا مواليا للفكر الفاشي، ثم ظهر أخيرا مفهوم الشخصية التسلطية، الذي ظل يطبق في مجالات عديدة، مثل: الفنون والعلوم والآداب والفلسفة والتربية، بينما كانت الفاشية والعنصرية مجرد أفكار كامنة لم تخرج إلى حيز التطبيق. (Bloom, 1972).

وكلمة التسلطية مساوية تقريبا لكلمة ؤتوقراطية Autocratic (الحكم الفردي المطلق)، وعكسها المساواة Equalitarian التي تشبه تقريبا كلمة الديمقراطية Democratic. (Liudgreu, 1991). وتشير التسلطية إلى مجموعة من السمات، توجد في بعض الأفراد، وتتضمن درجة عالية من الإذعان والخضوع للسلطة والتفكير الجامد Rigid Thinking. (إما أسود أو أبيض)، والضبط الزائد للمشاعر والدوافع، والتصلب في التفكير، والتحيز للذات. (أحمد زايد، ٢٠٠٦، ١٠٢ . ١٠٣).

إن الشخصية التسلطية هي تلك السمة التي تجعل صاحبها يمجد القوة ويستخف بمن هو أضعف منه. (الطهراوي، ٢٠٠٥). وتشمل سمات مثل: الدقة، والحرص، والشدة، وسرعة

التأثر في تفاعلها مع الآخرين. (كمال، ١٩٨٣). وتتميز الشخصية التسلطية ببعض السمات السلبية؛ كالشك، والاستهزاء بالآخرين، والعدوان، والاهتمام المفرط بالجنس، التفكير اللاعقلاني، الاعتقاد بالخرافات، استعمال القوة مع الآخرين. (الدباغ، ١٩٨٠). وبذلك، فإن السلوك التسلطي يعد أحد جوانب السلوك الاجتماعي. ويعاني الشخص المتسلط من عدم الشعور بالطمأنينة، وسلوكه الانفعالي متقلب، ويعجز عن ضبط النفس، ويبالغ في تضخيم الذات. (حسن، ١٩٩٩). (جيهان عبد حداد القيسي، ٢٠١٧، ١٢٠١).

ويرى ألبورت (Allport, 1958)، أن الشخصية التسلطية، هي شخصية متعصبة، تتميز بعدم المرونة، وضيق العقل وضيق التفكير (Narrow–Min). فالشخص التسلطي يتصرف بطريقة تتسم بالاستعلاء، واستعمال القوة، وعدم مراعاة مشاعر الآخرين. (جيهان عبد حداد القيسي، ٢٠١٧، ١٢٠١). وينظر إلى الأمور من وجهة نظره هو فقط. وينظر إلى نفسه بنوع من الإعجاب، لذلك يقدم تبريرات عقلانية لسلوكه، فيقول مثلا: "أنا عجيب، أنا فريد من نوعي، إن الآخرين يعتمدون عليّ في كل شيء". (إريك فروم، ١٩٧٢، ١١٩).

ويعتقد فروم أن السلطة تعني للشخص المتسلط علاقة بين الأشخاص، يعتبر هو نفسه أنه أعلى منهم في الترتيب

الهرمي، فهو في أعلى الهرم، والآخرون في أسفل الهرم. (إريك فروم، ١٩٧٢، ١٣٤). فالأشخاص الأكثر تسلطية، كما ترى فرنكل – برونسويك، يكونون أكثر تصلبا ونفورا من الغموض. (الجبوري، ٢٠٠٢). (جيهان عبد حداد القيسي، ٢٠١٧، ١٢٠١).

ويفسر أدورنو وزملاؤه بنية الشخص التسلطي بأنه يعاني من ضعف الأنا Ego Weakness الذي يعوّق البناء القيمي السليم للأنا، مما يدفع التسلطي إلى البحث عن مصادر خارجية يستند إليها في بناء نسق قيمي خاص به. (جيهان عبد حداد القيسي، ٢٠١٧، ١٢٠١).

وأكد روكيتش (Rokeach, 1954)، على البناء المعرفي للتسلطية، أي الجمود الفكري. ووجدت الدراسات التي أجراها كل من: فريدمان ووبستر وسانفورد (Fredman, Webster

Sanford, 1987 &)، أن الأشخاص مرتفعي التسلطية كانوا أكثر قلقا وأقل توافقا، مقارنة بالأشخاص منخفضي التسلطية. (جيهان عبد حداد القيسي، ٢٠١٧، ١٢٠١).

وتتميز الشخصية التسلطية في التطرف في الاستجابة، وفي صعوبة تغيير أنماط التفكير في مواجهة المواقف الاجتماعية المتنوعة، مما يؤدي إلى صعوبة التوافق معها. (إبراهيم، ١٩٧٠). (جيهان عبد حداد القيسي، ٢٠١٧، ١٢٠١).

وكما مر بنا في الفقرات السابقة، أنجز علماء النفس الاجتماعي السياسي الغربيين، دراسات مستفيضة؛ بحثا وتجريبا وتنظيرا لظاهرة التسلطية وظاهرة الاتجاه التعصبي العرقي أو اللوني، وخاصة في مكانين هما: الولايات المتحدة الأمريكية الجنوبية حين تعصب البيض ضد السود، والمكان الثاني هو جنوب إفريقيا، وهو نفس موضوع التعصب العرقي أو اللوني، حين تعصب البيض ضد السود. لكن هناك موضوعا أكثر فظاعة جذب اهتمامهم كذلك، وله علاقة بكل من التسلطية والتعصب، وهو موضوع الإبادة الجماعية والقتل الجماعي، الذي حدثت فظائعه في كثير من الأماكن في العالم، وإن كانوا (علماء النفس الاجتماعي السياسي الغربيين) ركزوا بحوثهم، في بداية الأمر، على ما قام به النازيون في ألمانيا حين اتجهوا إلى إبادة العنصر اليهودي، ثم اهتموا بعد ذلك بعمليات الإبادة التي قام بها الهوتو ضد التوتسي في رواندا (وسط إفريقيا)، في عام ١٩٩٤. ونفس هذه الأحداث الفظيعة ترتكبها الجماعات المسلحة في أماكن مختلفة في العالم الإسلامي، بصفة خاصة. كان من أهم الدراسات التي تمت في هذا المجال، هي دراسة تجريبية تمت في جامعة ييل Yale الأمريكية، إذ تم تصور العملية التي تؤدي إلى إلحاق الأذى بالناس أو إبادتهم، شبيهة بما يحدث في الحروب، فالموقف ثلاثي تقوم فيه: (١) السلطة بإصدار أوامرها (٢) للجيش المدرب بطبيعته على طاعة الأوامر. (٣) بتدمير العدو. ونفس هذا التنظيم الثلاثي المكون من: سلطة ومنفذ وضحية، هو الذي يتواجد في جميع عمليات الأذى والقتل والإبادة. وفي بحوث ميلغرام كان سلوك الطاعة (سلوك المنفذ) هو مركز البحث والاهتمام. لماذا يطيع الناس ؟ لماذا يطيع الناس الشخص التسلطي المتعصب ؟ اقرؤوا هذه الورقة إلى النهاية.

أهداف الدراسة

هدفت هذه الدراسة إلى توضيح المفاهيم الثلاثة الآتية:

١. مفهوم التسلطية ومفهوم التعصب من خلال نظريتي أدورنو وزملائه وألتيماير.

٢. مفهوم طاعة السلطة كما تناولها ميلغرام في تجاربه في جامعة ييل الأمريكية.

٣. تبيان ما إذا كانت المفاهيم الثلاثة تفسر عمليات القتل الجماعي، أو أي من فظائع ترتكب.

أهمية الدراسة

تبرز أهمية هذه الدراسة في كونها تتناول المفاهيم الثلاثة سابقة الذكر من وجهة نظر علم النفس الاجتماعي السياسي، الذي يعدّ تخصصا غير وارد من بين تخصصات علم النفس في جامعاتنا، ولذا يعدّ موضوعا جديدا، يسعى كاتبه أن يطرحه أمام المتخصصين في علم النفس، عسى أن يستفيدوا منه ويعملوا على إثرائه من خلال البحث المكثف فيه.

تعريف التسلطية.

يعرف أدورنو (Adorno, 1950) التسلطية، بأنها: "مجموعة من السمات التي تتصف بالتعصب الفكري، وتمجيد القوة، والامتثال للسلطة والقيم التي تشجع على التعصب والعنصرية واحتقار الضعفاء". (إبراهيم عيد، ١٩٩٠، ٢٩).

وتعرّف التسلطية، في موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، بأنها: اتجاهات في سياسة الأفراد أو الجماعات وإدارتهم، تتصف بممارسة السلطة عليهم وعدم اعتبار آرائهم أو مراعاة مشاعرهم، وتخويفهم بالعقاب إن خالفوا ما يرفضه السلطان أو صاحب السلطة عليهم، أو اعترضوا عليه. ويمهد لها بتجميع السلطة في يد فرد واحد أو أفراد قليلين.

وتظهر التسلطية كظاهرة نفسية اجتماعية في المستويات المختلفة للتجمعات البشرية؛ من الأسرة الصغيرة وحتى المجتمع الكبير بنفس الملامح والخصائص. (فرج عبد القادر طه، ١٩٩٣، ١٩٨).

وتعرّف التسلطية، بأنها: "الشخصية التي تتسم بامتلاكها لمعتقدات تأخذ طابع الانغلاق العقلي، وتظهر في السلوك، وتهدف إلى السيطرة على الآخرين، وتتميز بالأحكام المتطرفة، والنفور من الغموض، والمجاراة لمعايير الجماعة الداخلية، وقيمها الاجتماعية التقليدية". (الميالي/ ١٩٩١). (جيهان عبد حداد القيسي، ٢٠١٧، ١٢٠٣).

وتعرف، كذلك، بأنها: "سمة تتميز بمجموعة من الآراء المتطرفة والمعتقدات ذات الطابع المعرفي المغلق، نسبيا، وتظهر في أفعال سلوكية متشددة، تعبر عن رغبة الفرد في مصادرة آراء الآخرين والسيطرة على أفعالهم، والإذعان لمعايير الجماعة وأصحاب السلطة". (الجبوري، ٢٠٠٢). (جيهان عبد حداد القيسي، ٢٠١٧، ١٢٠٣).

مكونات التسلطية.

حدد أندريسكي (Andreski, 1954)، ثلاثة مكونات للتسلطية، تنطوي على ما هو نفسي، وما هو إيديولوجي، وما هو سياسي.

١. يشير المكوّن النفسي إلى وجود استعداد عام لدى الشخص يدفعه إلى تأييد التميز الطبقي، وتمجيد من هو أقوى، والاستخفاف بمن هو أضعف.

٢. ويشير العنصر الإيديولوجي إلى منظومة المعتقدات والاتجاهات التي يتبناها الفرد، والتي تتميز في معظم الأحيان بتمجيد القوة، والسلوك الاستبدادي ومناصرة حكم الفرد القوي.

٣. ويشير العنصر السياسي إلى نمط من الحكام أو القادة، أو الرؤساء، الذين يميلون إلى اتخاذ القرارات الفردية، والتهديد بالعقاب، وفرض الرأي الواحد بصورة مسبقة وفردية. (إبراهيم عيد، ١٩٩٠، ٦٦ . ٦٧).

وفي محاولة لإخضاع ظاهرة التسلطية للقياس والتحليل العاملي، قام السيكولوجي الإنجليزي/ هانز ج. ايزنك (Eysenck, 1956)، بانتقاء ٥٠٠ عبارة من مقاييس التسلطية المختلفة، وأخضعها للتحليل العاملي، فأسفرت نتائجه عن عاملين متعامدين، هما: التطرف/ المحافظة (Radicalism – Conservatism)، والتشدد في الرأي/ المرونة

(Toughmindedness – Tendermindedness). وأسفرت نتائجه، أيضا، عن أن التسلطية ظاهرة واسعة الانتشار بين المتطرفين اليسار، واليمين المحافظ. (إبراهيم عيد، ١٩٩٠، ٦٧ . ٦٨).

التسلطية والتمييز العنصري.

إن أهمية المعايير الثقافية في نمو التمييز العنصري قد كشفت عنها دراسات التمييز العنصري التي أجريت في جنوب افريقيا وفي الولايات المتحدة الأمريكية بواسطة توماس ف. بيتجرو Thomas F. Pettigrew من جامعة هارفارد.

١) الدراسة في جنوب افريقيا. قدم بيتغرو إلى ٦٢٠ طالبا من الناطقين باللغة الإنجليزية بجامعة ناتال، ثلاثة مقاييس لتقدير التسلطية والإذعان الاجتماعي والاتجاهات السلبية نحو الوطنيين السود.

وأبدى هؤلاء الطلاب تمييزا ضد الأفارقة. فمثلا وافق ٦٩ % منهم على أن العمل اليدوي يبدو مناسبا للعقلية الإفريقية أكثر من العمل الذي يتطلب مهارة وتحمل مسؤولية، وبالرغم من تحيزهم المتطرف، فإن التسلطية لديهم كانت أقل منها لدى طلبة الكليات الأمريكية الذين هم في الوقت نفسه أقل تحيزا. ويوحي ذلك بأن العوامل الشخصية كالتسلطية، مثلا، لا يمكن أن تعد مسؤولة بصورة كاملة عن التمييز الشديد لدى الطلبة بجنوب افريقيا، وأوضحت عدة نتائج إضافية أهمية العوامل الثقافية الاجتماعية في نمو التمييز لدى هذه المجموعة.

أولا: إن الطلبة المولودين في القارة الإفريقية كانوا أكثر تمييزا بدرجة دالة ضد الأفارقة السود من الطلبة غير المولودين في قارة افريقيا، ومع ذلك لم تظهر فروق بين المجموعتين في التسلطية.

ثانيا: إن الطلبة الذين أيدوا الحزب الوطني، وهو حزب التفرقة العنصرية المتطرفة، كانوا أكثر تمييزا بدرجة دالة من زملائهم الجامعيين، ومرة ثانية لم تظهر فروق بين المجموعتين في التسلطية.

ثالثا: كان الطلبة الذين يتكلمون اللغة المحلية (الجنوب افريقية) أكثر كراهية وبدرجة دالة للأفارقة السود من زملائهم الطلبة الذين يتكلمون اللغة الإنجليزية، ولكن على العكس من ذلك، كان الطلبة الذين يتكلمون اللغة الإنجليزية أكثر تمييزا بدرجة كبيرة ضد الافارقة السود من الطلبة الذين يتكلمون اللغة المحلية لجنوب افريقيا.

ولهذا قرر ٢٠ % من الطلبة الذين يتكلمون اللغة الإنجليزية أنهم يتمنون أن شخصا ما يمكنه أن يقتل كل الوطنيين الأفارقة في اتحاد الجنوب. (Krech, D. Crutchfield, R. S & Ballachey, E. L، ١٩٨٤، ١٣٦).

٢) الدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية. أجرى بيتجرو مقابلات مع راشدين بيض يسكنون في أربع مدن صغيرة في الجنوب "حيث تكون نسبة الزنوج أقل من ١ %"، وبالرغم من أن العينة الجنوبية كانت أكثر معاداة للزنوج من العينة الشمالية، فإنها لم تكن تسلطية، ففي العينة الجنوبية كان الإذعان الثقافي، كما يتضح من زيارة الكنيسة، مرتبطا بالاتجاه نحو معاداة الزنوج.

وفي الشمال كان البروتستانت الذين يذهبون إلى الكنيسة أقل تعصبا من غير المنتظمين في الذهاب إلى الكنيسة، ويظهر من هذا أن التمييز يعكس المعايير الثقافية، وأن عوامل الشخصية غير كاف لتفسير التحيز. (Krech, D. Crutchfield, R. S & Ballachey, E. L، ١٩٨٤، ١٣٧).

بحوث تيودور أدورنو وزملائه في التسلطية.

لعل من أعمق الدراسات المتعلقة بالبحث عن العلاقة بين الاتجاهات وديناميكيات الشخصية، أو أقول إن أشهر محاولة لتفسير التعصب، هي تلك المحاولة التي قام بها الباحثون من علماء النفس الأمريكيين الأربعة، وهم: (١) تيودور و. أدورنو، (٢) إلزا فرنكل . برونزفيك، (٣) دانييل ج. ليفنسون، (٤) ونيفيت سانفورد (T. W. Adorno, E. Frankel–Bronswik, Daniel G. Levinson & Nevitt Sanford). بجامعة كاليفورنيا بدراسة "الشخصية التسلطية Authoritarian Personality". أوضح هؤلاء الباحثون أن التعصب

يكون مرتبطا بتجمع (زملة) معقد من سمات الشخصية، أطلقوا عليها اسم: "الشخصية التسلطية". (Baron & Byrne, 1981, 1987, 1994).

بدأ أدورنو وزملاؤه، في عام ١٩٤٣، يخططون لدراسة الشخصية التسلطية، كجزء من اهتمامهم بدراسة ظاهرة التعصب العنصري الذي تمثل في إيديولوجية الفاشية، التي تقوم على تمجيد القوة، والحض على العدوان، وسحق الضعفاء، ومعاداة السامية، ورفض كافة المعتقدات التي تختلف عن توجهات وإيديولوجية الفاشية. (إبراهيم عيد، ١٩٩٠، ٦٢).

وكان اهتمام أدورنو وزملائه، مركزا على دراسة الدوافع النفسية التي تدفع فردا، أو بعض الأفراد، أو شعبا، أو شعوبا بأسرها إلى تقبل المعايير والأحكام التسلطية، بحيث يكون الفرد أو بعض الأفراد أو الشعب مستهدفا للطاعة والامتثال المطلقين لكل أشكال السلطة، والإيمان المطلق بأحكامها واتجاهاتها ونظمها القيمية، بغض النظر عن معقولية هذه الأحكام والاتجاهات والقيم. (إبراهيم عيد، ١٩٩٠، ٦٢).

وشرع أدورنو وزملاؤه في البحث في الشخصية التسلطية، حين قامت الجمعية الأمريكية/ اليهودية في شهر مايو من عام ١٩٤٤ بدعوة مجموعة من الأساتذة الأمريكيين المتخصصين في العلوم الإنسانية، بمختلف اتجاهاتهم ومدارسهم، للقاء استمر يومين، حول موضوع التعصب الديني والعنصري، وانبثق عن هذا اللقاء فريق للبحوث على رأسه أربعة من أشهر المتخصصين في الموضوع آنذاك، هم: أدورنو، وفرنكل . برنسويك، وليفنسون، وسانفورد. (جون داكيت، ٢٠١٠، ٩٦٩).

وبنى الباحثون دراستهم على الفرض الشامل الآتي: "إن المعتقدات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للفرد، غالبا ما تشكل نمطا عاما متماسكا، ويُعدّ هذا النمط تعبيرا عن كوامن غائرة في شخصية الفرد".

وبدأ الباحثون بدراسة تنظيم الاتجاهات المعادية للسامية، فوضعوا السؤال التالي:

هل المعتقدات والمشاعر المختلفة نحو اليهود تكون اتجاها موحدا ؟

وللإجابة عن هذا السؤال، وضعوا خمسة مقاييس لتقدير معتقدات المفحوصين عن: (١) عدوانية اليهود. (٢) خاصية اليهود التهديدية. (٣) عزلة اليهود. (٤) تطفل اليهود. (٥) الحاجة إلى التعصب العنصري ضد اليهود.

وكانت معاملات الارتباط الداخلية بين هذه المقاييس مرتفعة نسبيا، إذ تراوحت بين: ٧٤ % و ٨٥ % في عينة الطلبة. وتوصل الباحثون إلى أن المعتقدات والمشاعر نحو اليهود، تكوّن نسقا من الاتجاهات بدرجة مرتفعة. (Krech, D. Crutchfield, R. S & Ballachey, E. L، ١٩٨٤، ١٢٦ . ١٢٧).

ثم درس أدورنو وزملاؤه، السؤال المتعلق بما إذا كانت معاداة السامية تعدّ اتجاها خاصا، أو مظهرا لاتجاه عام آخر يتعلق بنبذ جميع الأقليات ؟ (Krech, D. Crutchfield, R. S & Ballachey, E. L، ١٩٨٤، ١٢٧).

وللإجابة عن هذا السؤال، وضع أدورنو وزملاؤه، مقياسا لقياس التمييز العنصري السلالي Ethnocentrism تكوّن من ثلاثة مقاييس فرعية لقياس: (١) الاتجاهات نحو الزنوج. (٢) الاتجاهات نحو الأقليات الأخرى غير اليهود وغير الزنوج. (٣) الاتجاهات نحو الولايات المتحدة باعتبارها الجماعة الداخلية المقابلة للشعوب الأخرى كجماعات خارجية. وكانت معاملات الارتباط الداخلية بين هذه المقاييس الثلاثة مرتفعة. فقد تراوحت في عينات مختلفة من: ٧٤ % إلى ٨٣ %، وكان ذلك دليلا على أن التمييز العنصري نسق من الاتجاهات متماسك بدرجة مرتفعة. كما تمت دراسة العلاقة بين معاداة السامية والتمييز العنصري السلالي في عينة من طلاب الجامعة، وكان معامل الارتباط يساوي ٠.٨٠. وجاءت النتيجة أن اتجاهات التمييز العنصري السلالي المتضمن لمعاداة السامية "تكوّن نمطا عاما متماسكا". (Krech, D. Crutchfield, R. S & Ballachey, E. L، ١٩٨٤، ١٢٧). وأن الشخصية المسؤولة عن التعصب الوطني أو التعصب ضد الأقليات. لها ميول عامة، ولها أصول متماسكة في الشخصية التسلطية، تظهر في مجاراة المعايير التي تنبع من أصحاب القوة أو معايير السلطة بشكل عام. (Adorno & al, 1950). (عبد اللطيف محمد خليفة، ١٩٩١، ٢٦٨).

أما السؤال: "عما إذا كان هذا النمط تعبيرا عن كوامن غائرة في شخصية الفرد"، فقد تم بحثه بطريقتين:

الطريقة الأولى.

تم وضع معيار لقياس أساليب الشعور والتفكير التي يفترض وجودها لدى الناس ذوي الاستعداد لتقبل الإيديولوجية المضادة للديمقراطية، وتمت تسمية هذا المقياس بمقياس الفاشية (F, Scale)، وكان معامل الارتباط بين الصورة الأولى لمقياس الفاشية والتمييز العنصري يساوي ٠.٦٥، أما في الصورة الأخيرة التي تم تنقيحها لكي ترفع من قدرة المقياس على التنبؤ بالتمييز العنصري السلالي، فكانت معاملات الارتباط بينها أعلى حيث وصلت إلى ٠.٧٧. واستنتج الباحثون مبدئيا أن التصور الخاص بالنظام الفاشستي المحتمل، يمكن أن ينتشر بدرجة كبيرة جدا. وصار الفرض الخاص بوجود استعدادات شخصية مركزية تعتبر سببا لهذا النمط (النظام الفاشستي) له ما يدعمه بدرجة عالية.

الطريقة الثانية.

– بالنسبة لأدوات القياس وأدوات جمع المعلومات. فقد تضمنت عقد مقابلات عيادية دقيقة مع استعمال قوائم الشخصية وفنيات التحليل النفسي، والاختبارات الإسقاطية، (عبد الرقيب أحمد البحيري، ١٩٨٩، ٢٥٠). غطت هذه الأدوات موضوعات عديدة، مثل التطلعات المهنية واتجاهات العمل، والاتجاهات الدينية والسلوك، والخلفية الأسرية، والعلاقات بين الطفل والوالدين، ونموذج السلوك الجنسي، والعلاقات الشخصية، والاهتمامات التربوية، والاتجاهات والآراء السياسية، والاتجاهات نحو الأقليات،

– بالنسبة للعينات. أجريت المقابلات مع ٨٠ شخصا من بينهم ٤٥ يتصفون بالمغالاة في معاداة السامية الذين جاءت درجاتهم في الربيع الأعلى من الحالات التي تعادي السامية، أو في الربيع الأعلى من بين الذين طبق عليهم مقياس التمييز العنصري السلالي، كما تمت مقابلة ٣٥ شخصا من الذين يقعون في الربيع الأخير. (Krech, D. Crutchfield, R. S & Ballachey, E. L، ١٩٨٤، ١٣١). وكانت عينة البحث غير متجانسة، فقد تضمنت:

(١) مرضى نفسيين، (٢) وطلابا جامعيين. (٣) وطلابا من الكلية الحربية التجارية، (٤) ونزلاء سجون. (٥) وطلاب لاهوت. (٦) وقدماء محاربين عاطلين. (٧) ونساء مهنيات. (٨) وطلابا للدراسات العليا. (٩) وتلاميذ بالمدارس الصيفية. وتم بذل محاولات لتحقيق تجانس العينة من المرتفعين والمنخفضين من حيث السن والجنس والتبعية الدينية والسياسية، والخلفية القومية والإقليمية، إلا أنهم لم يكونوا متجانسين في التعليم.

– وتم تقدير درجات المقابلات بواسطة حكام مستقلين، يحكمون على عدد كبير من تصنيفات المتغيرات التي تمت تغطيتها وهي المادة الحقيقية، مثل: (١) حوادث الطفولة. (٢) المقاييس الاتجاهية، مثل الاتجاهات نحو الذات ونحو الوالدين ونحو الجنس الآخر. (٣) والأبعاد التفسيرية.

– بالنسبة للمتغيرات. كانت المتغيرات المستعملة قائمة على فرض أساسي خاص عن ارتباطات الشخصية بالتمييز العنصري، ولم يقابل الحكام الذين حكموا على المقابلات أحدا من المفحوصين، كما أنهم لم يعرفوا شيئا عن درجاتهم الخاصة بالتمييز العنصري السلالي.

– وبالنسبة للفاحصين الذين أجروا المقابلات، فقد كانت لديهم معرفة سابقة بدرجات التمييز العنصري السلالي للمفحوصين. وكشفت معالجة درجات المتوسط الحسابي لكل من المرتفعين والمنخفضين من الفئات المختلفة عن وجود فروق دالة إحصائيا بين المجموعة التي حصلت على درجات عالية في التعصب، والمجموعة التي حصلت على درجات منخفضة في التعصب في عدد من متغيرات الشخصية التي سبق التنبؤ بها. (Krech, D. Crutchfield, R. S & Ballachey, E. L، ١٩٨٤، ١٢٨).

ويبين جدول (١) الفروق الأساسية بين المجموعتين المتطرفتين.

الذين حصلوا على درجات عالية في التعصب	الذين حصلوا على درجات منخفضة في التعصب
١. ينبذون النزوات غير المقبولة اجتماعيا كجزء من الذات.	١. يقبلون النزوات غير المقبولة اجتماعيا كجزء من الذات.
٢. يظهرون الدوافع غير المقبولة اجتماعيا خلال عملية الإسقاط (كالخوف، الضعف، الجنس، العدوان).	٢. يتمثلون الدوافع غير المقبولة اجتماعيا كجزء من الذات
٣. يتمسكون بقيم وقواعد تقليدية وإعجاب تقليدي بالوالدين.	٣. يتمسكون بقيم ذاتية واجتماعية بناءة مع تقدير واقعي للوالدين.
٤. يتوجهون نحو القوة (نسيطر عليهم بالقوة) في علاقاتهم الشخصية.	٤. موجهون بالحب والتعاطف في علاقاتهم الشخصية.
٥. تنظيم الشخصية لديهم جامد.	٥. تنظيم الشخصية لديهم مرن.
٦. نظام المعاملة الوالدية قاس وقائم على التهديد.	٦. تأديب أبوي مقبول.
٧. الحب الوالدي مشروط بإظهار السلوك المناسب.	٧. حب أبوي غير مشروط.
٨. بناء أسري هرمي.	٨. بناء أسري قائم على المساواة.
٩. اهتمام بمركز الأسرة.	٩. عدم الاهتمام بمركز الأسرة.

Theodore W. Adorno, Elza Frankel-Bronswik, Daniel G. Levinson &) Nevitt Sanford, 1950). (Krech, D. Crutchfield, R. S & Ballachey, E. L، ١٩٨٤، ١٣١ . ١٣٢).

وصدرت عن هذا الفريق مجموعة من البحوث حملت عنوان: "دراسات في التعصب"، وكانت رغم عمومية عنوانها تكاد تقتصر بحوثها على معاداة السامية، بل بالتحديد على المشاعر المعادية لليهود فقط. وبينت نتائج تلك البحوث: أن الاتجاهات المعادية للسامية، تم اعتناقها بصفتها جزءا تَشَكّل من مجموعة أعراض أوسع من الاتجاهات الاجتماعية، تشمل التعصب المعمم ضد الجماعات الخارجية، والأقليات، وتمجيد التمركز حول الذات داخل الجماعة، والمذهب المحافظ السياسي الاقتصادي، والاتجاهات المؤيدة للفاشية. لقد رأوا في هذه الزملة المرضية Attitudinal Syndrome من الاتجاهات، تعبيرا عن بعد أساسي في الشخصية، يتألف من تسع سمات متباينة. أطلقوا عليها: "الشخصية التسلطية". (عبد اللطيف محمد خليفة، ١٩٩١، ٢٦٨ . ٢٦٩).

ومن النتائج الهامة، كذلك، لهذه الدراسة، كما قال عنها الباحثون، إثبات التقارب الوثيق بين أسلوب التربية والمستقبل المتوقع أن يكون عليه الشخص بالنسبة لنواحي متنوعة تتناول الخصائص الأسرية والتوافق الجنسي، وتشمل كذلك العلاقات الشخصية مع الآخرين، بصفة عامة، وتشمل الدين والفلسفة الاجتماعية والسياسية. وعلاقة الوالد بطفله، التي تقوم أساسا على الهرمية والتسلطية والاستقلالية، ربما تتحول وتصير اتجاها نحو القوة ونحو الاعتمادية أو الاستقلالية، وقد تبلغ ذروتها في صورة فلسفة سياسية أو مستقبل اجتماعي لا يحتوي على شيء إلا التشبث اليائس بما يظهر قويا والنبذ القوي لكل ما هو ضعيف. وتعتبر التقليدية والصلابة والكبت، وما يتبعها من ثورة ضد الضعف الشخصي وضد الخوف وضد الاعتماد على الآخرين، كذلك، تعتبر مظاهر أخرى لذلك النمط الأساسي من أنماط الشخصية، وهذه المظاهر يمكن ملاحظتها في الحياة الشخصية للفرد، كما يمكن ملاحظتها في الاتجاهات نحو القضايا الدينية والسياسية. (Krech, D. Crutchfield, R. S & Ballachey, E. L، ١٩٨٤، ١٢٨ . ١٢٩).

ومن ناحية أخرى، يوجد نمط آخر يتميز بالتعاطف والمساواة والتسامح في علاقاته الشخصية، ويكتنف هذا النمط كل الاتجاهات نحو الأسرة أو نحو الجنس الآخر، كما يكتنف القيم التي يتمثلها الفرد، سواء كانت قيم دينية أم قيم اجتماعية. وهناك مرونة أكبر واحتمال أكبر لتحقيق الإشباع الحقيقي كنتيجة لهذا الاتجاه الأساسي. (Krech, D. Crutchfield, R. S & Ballachey, E. L، ١٩٨٤، ١٢٩).

نظرية أدورنو وزملائه في الشخصية التسلطية.

ارتبطت نظرية الشخصية التسلطية بالبحوث التي قام بها أدورنو وزملاؤه، أثناء العمل المكثف الذي قاموا به من خلال اللجنة اليهودية الأمريكية في محاولة لفهم أسباب الاتجاهات المعادية للسامية (لليهود بصورة محددة) في عام ١٩٣٠، وسلوك الإذعان Compliance الخاص بالألمان نحو هتلر. (Adorno & al, 1950; Frenkel-Brunzwick, 1949).

ونظر هؤلاء الباحثون إلى التعصب على أنه اضطراب في الشخصية، يماثل تماما مختلف المخاوف المرضية Phobia، أو الحاجات العصابية للموافقة (الاستحسان). ويقوم ذلك على الفرض القائل. "إن مختلف الاعتقادات الخاصة بأحد الأشخاص حول الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، تشكل، غالبا، نمطا متماسكا وعريضا، ويبدو أن هناك أساسا يجمع بين أجزائه هذه. وهذا النمط له جذور عميقة في الشخصية، تحدد ملامح الشخصية التسلطية". (Adorno & al, 1950). والشخصية التسلطية عبارة عن زملة معقدة من السمات التي تميز الأشخاص مرتفعي التعصب. (Goldstein, 1980). (معتز سيد عبد الله، ١٩٨٩، ١٣٠). وتنمو الاتجاهات التعصبية من زملة سمات الشخصية التسلطية التي تتحدد كما يأتي.

١. الالتزام الصارم بالقيم المتفقة مع التقاليد الاجتماعية السائدة.

٢. السلوك النمطي والعقاب القاسي للمنحرفين عنه.

٣. الحاجة المبالغ فيها للخضوع للسلطة الوطنية والتوحد معها.

٤. تقييد الحرية الانفعالية.

٥. القوة والغلظة.

٦. العداوة.

٧. الإسقاط.

٨. الإيمان بالخرافات.

٩. الميل إلى التدمير. (Adorno & al, 1950). (عبد اللطيف محمد خليفة، ١٩٩١، ٢٦٨ . ٢٦٩).

وتنشأ الشخصية التسلطية في هذه السمات، وتنمو من خلال تعرض الأطفال لأساليب التربية المبكرة للآباء المستبدين والأمهات القاسيات. وحينما يصير الفرد راشدا، فإنه يميل إلى تكرار هذه الخبرات. (Adorno & al, 1950). (معتز سيد عبد الله، ١٩٨٩، ١٣١).

وتنظر نظرية الشخصية التسلطية إلى التعصب، على أنه اضطراب في الشخصية. (Sears & al, 1991). إن لدى أصحاب الشخصية التسلطية طرقا خاصة يرون بها عالمهم الاجتماعي. فهم يتسمون بعدم تحمل الغموض، ويفرطون في احترامهم للسلطة، ويظهرون العداوة لأي جماعة قد تعترض على الوضع القائم، فقد مال أفراد البحث الذي أجراه أدورنو وزملاؤه، إلى جعل آبائهم مثاليين، وكانوا يتحدثون عنهم كما لو كانوا مثالا للطهارة والعفة، وبعد المقابلات الشخصية معهم، ظهر أن هؤلاء الأفراد تعرضوا لأسلوب قاس في التربية، وأنهم كانوا باستمرار يكبتون عدوانهم تجاه آبائهم، وصار العدوان متجها إلى جماعات أخرى، (عن طريق الإزاحة) مثل جماعات الأقلية. (Myers, 1993, 1996; Cardwell, 1994). (أحمد زايد، ٢٠٠٦، ١٠٤).

وطوّر أدورنو وزملاؤه مقياس الفاشية، بغرض قياس هذا البعد في الشخصية. فجعله يحتوي على عبارات الطاعة واحترام السلطة باعتبارها أهم الفضائل التي ينبغي أن يتعلمها الأطفال، واقترحت النظرية أن الشخصية التسلطية كانت تتصف بمشاعر مكبوتة من الحقد والعدائية ضاربة بجذورها في التنشئة الاجتماعية العقابية على يد الوالدين، تلك المشاعر التي

انتقلت لتكون موجهة إلى الجماعات الخارجية، والأقليات، حيث بدت مشاعر الكره ضدهم مبررة من قبل السلطة التقليدية. (جون داكيت، ٢٠١٠، ٩٦٨ . ٩٦٩).

وتمكن أدورنو وزملاؤه، من تحديد المكونات النفسية (السمات) للشخصية التسلطية، فرأوا أنها تتميز بدرجة عالية من التعصب الاجتماعي، والعدوان والجمود، والملامح العصابية، ومشاعر الإثم والقلق، وافتقار الأمن. ويلجأ التسلطيون إلى إسقاط اللوم على الآخرين، لتخويفهم مما لديهم من الشعور بالإحباط. والتناقض الوجداني. (عبد الرقيب أحمد البحيري، ١٩٨٩، ٢٥٠ . ٢٥١). (إبراهيم عيد، ١٩٩٠، ٦٣).

كما أسفرت دراستهم عن نتائج بعضها يميز سمات الشخص المتسلط على أنه شخص يمجد نفسه ويضخمها، ويهتم بالمركز الاجتماعي والنجاح الخارجي أكثر من غيره، ربما بسبب نشأته في أسرة تهتم بالمركز الاجتماعي، بسبب عدم الشعور بالأمن والتهديد الداخلي، كما تبين أن آباء المتسلطين يميلون إلى القلق والقمع الشديد، مما أدى إلى خوف الأبناء، وقلقهم وتوحدهم مع آبائهم، قلقا وخوفا، وعدوانا. (إبراهيم عيد، ١٩٩٠، ٦٣).

وبينوا كذلك أن من خصائص الشخصية المهيئة للاتجاه نحو العنف، يوجد بينها كثير من الأفراد السيكوباتيين والتسلطيين. (محمود عبد الرحيم غلاب، محمد إبراهيم الدسوقي، ١٩٩٤، ٣٤٣).

ومنذ ذلك الزمن، اتخذت التفسيرات النفسية للتعصب شعبية واسعة. (Russell, 1976). وكانت محاولات الربط بين التسلطية ومختلف أشكال التعصب، قد تحققت في العديد من جوانب الصراع بين الجماعات. فعلى سبيل المثال، التعصب ضد الجماعات العرقية في الولايات المتحدة. (كامبل Campbell، ماكندلس McAndless (١٩٥١). وضد المسلمين في الهند (سينا Sinha، وحسن Hassan (١٩٧٥). وفي هولندا، هولين Holen، وماجيندورم Magendoorm، ورايما كرز Raymakers، وفيسر Visser (١٩٨٨)، والنفور من المرضى العقليين، أو الذين يعانون من مرض الإيدز. هانسون Hanson، وبلوم Bloom

(١٩٨٤)، وويت Witt (١٩٨٩). (Hewstone & al, 1996). (أحمد زايد، ٢٠٠٦، ١٠٣ . ١٠٤).

التنشئة الأبوية واكتساب سمة التسلطية.

وحينما يقوم آباء خشنون غير متسقين بتربية الأطفال، فإن الأطفال يميلون إلى تكوين قيم وحيل دفاعية تجعل التعصب رد فعل محتمل تجاه مشاكلهم ككبار. فقد وجد أدورنو وزملاؤه (Adorno & al)، تأييدا لهذا الفرض، حينما كانوا يدرسون الأفراد ذوي الشخصيات التسلطية. ويتسم الأفراد التسلطيون بأنهم جامدون تقليديون غير متماسكين تجاه الضعف، سواء في الآخرين أم في أنفسهم، ويؤيدون العقاب، وينشغلون بالقوة والخشونة، ويتهكمون تجاه الطبيعة الإنسانية، ويخشون الأفراد ذوي النفوذ والسلطة، ومقتنعون بأهمية الطاعة.

جدول (٢) بعض مكونات التسلطية (قائمة بمفردات من مقياس للتسلطية.

مكونات التسلطية	السلوك التسلطي
التمسك الشديد بقيم الطبقة المتوسطة	على كل إنسان لطيف أن يكون لديه شعور بالحب والعرفان بالجميل والإعجاب بوالديه. (أوافق).
الحاجة المبالغ فيها للخضوع للآخرين	نعتبر طاعة واحترام الآباء والمعلمين والسلطات الأخرى سمات هامة يعلمها الآباء لأطفالهم. (أوافق).
التعهد بالعقاب الشديد للناس المنحرفين عن القيم التقليدية.	استعمال عقوبة الموت لمعاقبة أي مجرم لا يؤدي غرضا بناء. (لا أوافق).
التحالف مع الفراد الأقوياء وإنكار الضعف الشخصي.	النظام والرغبة في العمل والقتال من أجل الأسرة والوطن. (أوافق).

(لندا ل. دافيدوف، ١٩٨٣، ٧٨٢،٧٦٦ . ٧٨٣).

وغالبا ما يعتنق الأفراد المتسلطون تعصبا حادا، وغالبا ما يقولون إن آباءهم كانوا باردين وغير قادرين على التنبؤ، ويميلون إلى العقاب بشدة. وبيّن أدورنو والعاملون معه، أن الأفراد المتسلطين كانوا في طفولتهم خائفين من والديهم، وغاضبين منهم، وعلى ذلك يفترض أنهم يظلون غير آمنين، ويتمسكون بالعدوان ككبار. ويقومون بمعالجة هذه المشكلات عن طريق حيل الدفاع. ويقومون بعملية إسقاط، لعدم كفاءتهم، على أفراد من جماعة الأقلية عديمة القوة. ويزيحون غضبهم من آبائهم على هؤلاء الضحايا. (Adorno, Frenkel-Brunswik, Levinson & Sanford, 1950). وقد يكون تحليل أدورنو صحيحا (فهناك دليل على أن الاتجاه التسلطي يرتبط بالتعصب) وما زالت مبادئ التعلم البسيط قادرة على تفسير كيفية اكتساب الأفراد لكل من سمات التسلط والتعصب. (لندا ل. دافيدوف، ١٩٨٣، ٧٨٢ . ٧٨٣).

نقد بحوث أدورنو وزملائه عن التسلطية والتعصب.

إن ما كان هدف إليه أدورنو وزملاؤه، أنه من الممكن اعتبار الشخصية التسلطية هي المسؤولة على التعصب، وليس الجماعات العرقية أو الثقافية هي المسؤولة على التعصب. وكان أملهم أن يتمكنوا من طرح نظرية عامة تفسر التعصب. لكن علماء نفس، مثل: إريك فروم (E. Fromm, 1961)، قالوا ليس كل تعصب يتعلق بالشخصية التسلطية. وتذهب البحوث التي أجراها توماس بيتغرو (Thomas F. Pettigrew)، في جنوب إفريقيا وفي جنوب الولايات المتحدة الأمريكية، إلى أن الضغوط من أجل الانصياع لوجهات النظر العنصرية، في ثقافات معينة، بلغت من القوة جعلتها ذات تأثير على وجهات النظر الشخصية، فالتسلطية وحدها لا تكفي لتفسير التباين في مستويات التعصب والتمييز العنصري. (كريستيان تيليغا، ٢٠١٦، ٦٧ . ٦٨).

وذهب باحثون آخرون، إلى أن إبراز الهوية الشخصية والاجتماعية، مهم أيضا، لفهم التعصب. ويمكن للتركيز على أهمية الشخصية، أن يفضي إلى التقليل من أهمية وقوة العامل الاجتماعي المباشر، كعامل يبرر توجهات الناس. ويرتبط هذا النقد بالتأثير الذي لم يجر تفسيره لتوجهات الناس الآخرين، ومعايير العلاقات داخل الجماعة وبين جماعة أخرى. ويمكن

التدليل على أن معايير المجتمع والاتصالات بين جماعة وأخرى، والعلاقات مع الآخرين والخصوصية التاريخية للتعصب، لها تأثير تفوق أهميته أي نزوع شخصي. وقد تكون التسلطية، حقيقة، نتيجة لظروف اجتماعية ثقافية وتاريخية أكثر مما هي منبثقة عن نزاعات داخلية، أو نماذج لتربية الأطفال. (كريستيان تيليغا، ٢٠١٦، ٦٩ . ٧٠).

وكما مر بنا في الفقرات السابقة، جذبت نظرية الشخصية التسلطية ومقياس الفاشية، في البداية، اهتماما كبيرا، إلا أن هذا الاهتمام تضاءل مع بداية الستينات من القرن العشرين، لأسباب منها:

١) الدليل الإمبريقي لم يدعم حيل الدفاع التي يقول بها التحليل النفسي التي تم اقتراحها كأساس داعم للشخصيات التسلطية واتجاهاتها الاجتماعية. (Altemeyer, 1981; Duckitt, 1992).

٢) ظهرت عيوب خطيرة في مقياس الفاشية، تتعلق بشكل رئيسي بافتقاده للثبات. كما تبين أنه ؤحادي البعد، عندما تم التخلص من الصياغات الإيجابية لكافة بنوده، مما كان يؤدي إلى انحيازه نحو الموافقة.

وفيما يلي وجوه نقد أخرى تعرضت لها نظرية الشخصية التسلطية، منذ ظهورها في عام ١٩٥٠، منها ما يأتي.

١. إن البحث عن موقع التعصب في ديناميكيات الشخصية للفرد، من شأنه أن يهمل عوامل الثقافة الاجتماعية التي تعتبر، غالبا، من أكثر المحددات قوة بالنسبة إلى التعصب، وقد أوضح ذلك بيتغرو (Pettigrew, 1958)، في دراسته عن التعصب في جنوب افريقيا، حيث وجد أن البيض في جنوب افريقيا يظهرون مستويات مرتفعة جدا من التعصب ضد السود، مع أنهم لا يظهرون، بصورة خاصة، مستوى مرتفعا من التسلطية. (Cardwell, 1994; Hewston & al, 1996).

٢. يعجز منحى الشخصية التسلطية عن تفسير التماثل (الاتساق) المنتشر في التعصب في مجتمعات خاصة، أو جماعات

فرعية داخل المجتمعات، فإذا كان التعصب تم تفسيره عن طريق الفروق الفردية بين الأفراد، فكيف يظهر في مجتمع سكاني بأكمله، أو على الأقل في الأغلبية الواسعة ؟ (Hewston & al, 1996).

٣. فشل أكثر من بحث معاصر لـ "ألتماير" (Altemeyer) في أن يكرر النتائج الرئيسية لـ "أدورنو وزملائه"، وخاصة النتائج المتعلقة بالخبرات الضرورية لتربية الطفل التي تجعل من شخصيته شخصية تسلطية.

٤. إن مقياس الفاشية الذي طوره أدورنو، لقياس سمات الشخصية التسلطية، يصف شخصا من المحتمل أنه كان

متعصبا في الوقت الذي كان يمارس أدورنو الكتابة، غير أن تمركز التسلطية في مجتمع ما قد تغيرت، بدليل أنها اختفت أو تلاشت، وخاصة في المجتمع الغربي، ويضعف ذلك الصلة بين التسلطية والتعصب.

٥. من الواضح أن أغلب المتعصبين لا يعانون فقط من التعصب، لكنهم يمتلئون أيضا بالازدراء والسخط للأشكال التقليدية للسلطة، والنظريات الدافعية عموما، والتي منها هذه النظرية، قد تبخس حجم التعصب كما هو موجود بالفعل. (Cardwell, 1994). (أحمد زايد، ٢٠٠٦، ١٠٤ . ١٠٥).

ومن جوانب النقد الذي تم توجيهه إلى بحوث أدورنو وزملائه، وخاصة مقياس الفاشية، أن الموافقة على عباراته تعكس دائما التسلطية. ومن ثم فإن الدرجة قد لا تكون صادقة نظرا لعامل الإذعان Acquiescence، أي القبول دون معارضة أو رفض، وترتبط ارتباطا سلبيا بالذكاء. ووجد أن الدرجات التي حصل عليها الأفراد ارتبطت، كما هو متوقع، بالسلوك داخل الجماعة. فمثلا القادة الذين يكونون في جماعات تتكون من أفراد على درجة مرتفعة من التسلطية، تصرفوا بطريقة ؤتوقراطية مقارنة بالقادة في الجماعات التي تتكون من أفراد على درجة منخفضة من التسلطية. (محمود السيد أبو النيل، ١٩٨٥ . ب، ٢٨٨).

وفي النقد، كذلك، الذي وجهه كل من هربرت هـ. هايمان (عالم النفس)، وبول شيتسلي (عالم الاجتماع) إلى البحث الذي استعمل في دراسة "الشخصية المتسلطة"، ذكر الباحثان الفروق التالية بين استجابات ثلاث مجموعات مختلفة في مستوياتها التعليمية في الإجابة على أسئلة من مقياس الفاشية. ويبين الجدول رقم (٣) نتائج البحث.

السؤال	النسبة المئوية للموافقين		
	مستوى جامعي	مدرسة ثانوية	مدرسة أولية
– إن أهم ما يجب أن يتعلمه الأطفال هو الطاعة الكاملة لوالديهم.	٣٥	٦٠	٨٠
– يجب أن يكون القائد حازما مع مرؤوسيه لكي يحظى بأصواتهم.	٣٦	٥١	٦٦
– السجن أفضل عقاب لجرائم الجنس ويجب أن يضربوا بالسياط في مكان عام أو بما هو أسوأ من ذلك.	١٨	٣١	٤٥
– يوجد نوعان من الناس في العالم: الضعفاء والأقوياء.	٣٠	٥٣	٧١
– أي رجل مهذب لا يمكن أن يحترم السيدة التي لها علاقات جنسية.	١٤	٢٦	٣٩

يلاحظ أن الفروق في الإجابة على أسئلة من مقياس الفاشية، تبدو موازية للفروق التي وجدها أدورنو وزملاؤه بين المتعصبين وغير المتعصبين، أي أنه على العموم، تتشابه استجابات غير الجامعيين مع استجابات المتعصبين. ويعلق صاحبا البحث (هايمان وشيتسلي) قائلين: "إننا بالتأكيد لا ندلل على أن التمييز العنصري يتسبب عن نقص في التعليم، ولا على أن

التعليم السابق يحدد البناء الأساسي للشخصية، لكننا نريد أن نقرر أن أهمية متغيرات الشخصية بالنسبة لمشكلة التمييز العنصري، أمر مبهم وغامض، في ضوء الارتباط المعروف مع التعليم الذي كشفت عنه الأدلة المستعملة، كما دل عليه الفشل في أخذ هذا العامل في الاعتبار عند تحليل نتائج المجموعتين". (Hyman & Sheatsley, 1954). (Krech, D. Crutchfield, R. S & Ballachey, E. L، ١٩٨٤، ١٣٢).

عودة البحث في الشخصية التسلطية.

لكن بعد عدة عقود، تم إحياء فكرة الشخصية التسلطية. فقد وجد بوب ألتيماير (١٩٨١)، اعتمادا على بحث مكثف وموسع، أن ثلاثة من الأوجه التسعة الأصلية للشخصية التسلطية، التي وصفها أدورنو وزملاؤه (١٩٥٠)، وهي:

١. التقليدية.

٢. والسلطوية العدوانية.

٣. والخضوع السلطوي،

قد تباينت بقوة لتشكل بعدا وُحاديا. لذا قام بتطوير مقياس لقياس هذا البعد، وهو: "النزعة التسلطية اليمينية". (RWA) Right – Wing Authoritarianism.

وبينت بحوث لاحقة لألتيماير (Altemeyer, 1981, 1988, 1998)، أن مقياس النزعة التسلطية اليمينية وُحادي البعد، وله ثبات سيكومتري. ويتنبأ بقوة بعدد كبير من الظواهر السياسية والاجتماعية والإيديولوجية وبين الجماعية، وكذلك التعصب المعمم، والتمركز العرقي الشوفيني. كما أشار إلى أن عدائية الشخصيات التسلطية والاتجاهات العقابية تجاه الجماعات الخارجية والأقليات، قد تكون راجعة إلى تنشئتهم الاجتماعية على رؤية العالم الاجتماعي كمكان خطير ومهدد. وتدعيما لهذه النتيجة أظهرت بحوث أخرى ارتباطات دالة بين التسلطية والتهديد. (جون داكيت، ٢٠١٠، ٩٧٠).

نظرية ألتيماير في الشخصية التسلطية والتعصب.

إن المشكلة التفسيرية التي كانت تشغل بال علماء النفس الاجتماعي حينذاك، هي ما تعلق بتفسير التعصب في جنوب أمريكا وفي جنوب افريقيا، حيث بدا التعصب، كما ناقش ذلك بيتغرو Pettigrew، وكأنه ينبغي أن يبت فيه ثقافيا واجتماعيا. وبذلك حدث انقلاب تام للاتجاه الذي كان سائدا في الخمسينات من القرن العشرين، حين كانت تهمل الثقافة والمجتمع ويفسر التعصب وفق مفهوم الشخصية. (لوسيان باي، مارك روس، جون دوكيت وآخرون ٢٠١٢، ١٤٣).

كانت نظرية الشخصية التسلطية، التي قال بها أدورنو وزملاؤه، انتهت في الستينات من القرن العشرين، بسبب النظرية الموقفية التي قال بها ميلغرام وآخرون. لكنها عادت إلى حيز الوجود في بداية الثمانينات من القرن العشرين. من خلال بحوث بوب ألتيماير (Bob Altemeyer, 1981)، خاصة. واحتفظ ألتيماير أساسا بنظرية الشخصية التسلطية القديمة التي ارتبطت ببحوث أدورنو وآخرون، ولكنه حاول أن يزيل شيئا من الغموض الذي اتصفت به تلك النظرية. فقد حددت نظرية أدورنو في الأصل تسع سمات شخصية يفترض أن تميز الجناح اليميني التسلطي من الناس، (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٣٠٥). لكن ألتيماير تخلص من بعض هذه السمات واختصرها في ثلاثة عناقيد/ تجمعات من الاتجاهات (Attitudinal Clusters)، وهي: (١) الخضوع للسلطة (Authoritarian Submission)، ويعني ذلك ميلا شديدا لدى الفرد إلى أن يكون خاضعا للسلطة. (٢) والعدوان التسلطي (Authoritarian Aggression)، أي العدائية تجاه الجماعات الخارجية. (٣) التقليدية (Conventionalism)، وتشير إلى الامتثال للمعايير الاجتماعية وعدم الاستعداد للتصدي للواقع القائم. وأطلق ألتيماير على الصيغة المنقحة من نظرية الشخصية التسلطية اسم "تسلطية الجناح اليميني" (Right–Wing Authoritarianism). وطور مقياسا لقياس درجة اتسام الأفراد بهذه الصفات (لوسيان باي، مارك روس، جون دوكيت وآخرون ٢٠١٢، ١٤٤).

ويمكن النظر إلى العنصرية، ببساطة، من وجهة نظر ألتيماير، كواحدة من خصائص هذا الصنف من الشخصية، التي تتسم بالتعصب الشديد إزاء الجماعات الخارجية من أي نوع،

بما في ذلك الأمريكيين من أصول إفريقية. ويقول ألتيماير في هذا الأمر: "*يحمل أصحاب هذه الشخصية الكثير من التعصبات، فهم معادون لكثير من الأقليات، ويظهرون تعصبا على الجميع على قدم المساواة. ولكنهم لا يدركون في العادة أنهم متمركزون حول ذواتهم، ولا يرغبون في اكتشاف ذلك (.....) وهم على استعداد دائما لمساعدة الحكومة في اضطهاد أي جماعة تخطر ببالنا، بما في ذلك هم أنفسهم*". (Altemeyer, 2004). (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٣٠٥ . ٣٠٦).

وتثير نظرية "التسلطية اليمينية"، التي طرحها ألتيماير، مشكلة أخرى تتعلق بالتمييز بين الموقفية والنزوعية. فمن الناحية الأولى، ليس هناك شك في أن الأفراد يصيرون متعصبين نتيجة للبيئات أو الظروف التي يجدون فيها أنفسهم، وليس لأنهم ولدوا على صفة أنهم متعصبون، وبهذا المعنى تكون معظم النظريات "موقفية" في جذورها، لأن الناس لا بد أن يحصلوا على نزعاتهم من مكان ما. ويعتقد ألتيماير أن اليمينيين التسلطيين يتعلمون اعتقاداتهم التسلطية في الطفولة، كما يفعل ذلك غير التسلطيين، لكن الفروق تكمن في أن غير التسلطيين يكونون أكثر وعيا بأنفسهم، ويعملون على تعديل اعتقاداتهم المبكرة بالخبرة، في حين أن التسلطيين يحافظون على تلك الاعتقادات.

ومن الناحية الثانية، يمكن اعتبار هذه النظرية نظرية نزوعية من حيث أن الاتجاهات التسلطية، وإن كانت متعلمة، إلا أنها تمثل نزعات تستعصي على التغيير فيما بعد، وتستمر مدى الحياة. ومع أن السبب البعيد لهذه النزعات قد يتصل بعوامل موقفية، إلا أن السبب المباشر، أو القريب، يكون سببا نزوعيا. (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٣٠٦ . ٣٠٧).

بحوث أخرى في علم النفس الاجتماعي حول التسلطية.

في الحقيقة لم تكن دراسة أدورنو وزملائه، هي الأولى في مجال التسلطية والتعصب، بل واكبتها، كما سبقتها دراسات أخرى رائدة في هذا المجال.

وتعتبر دراسة رايش (Reich, 1935, 1971) من الدراسات الرائدة في مجال البحث عن جذور التسلطية في طبيعة الإنسان. فقد انتهي رايش (١٩٣٥)، من كتابة دراسته بعد

استيلاء النازيين على السلطة في ألمانيا بثلاث سنوات، وأوضح ما يمكن أن ينجرف إليه العالم من عنف ودمار وتعصب، إذا سادت الفاشية واستحكمت، ورأى أن التسلطية قد وجدت تعبيرا لها في الفاشية كنظام قيمي وإيديولوجي "غير معقول"، يتصف بالتعصب والعدوان وعشق القوة ومعاداة الأفكار والآراء المناهضة، وأن الفاشية كتعبير عن التسلطية "ظاهرة عالمية" ليس لها وطن معين، لأنها مكون من مكونات الإنسان، وتنتشر إذا ما وجدت الظروف المهيئة لها نفسيا واجتماعيا واقتصاديا، وهي أشد انتشارا بين الناس العاديين، وهناك عوامل تساعد على ظهور التسلطية ونموها، من أهمها: طبيعة التنشئة الاجتماعية في الأسرة، فالأسرة التسلطية التي يحيا أبناؤها في قلق وخوف وتهديد تفرز الشعور بالتسلط. (Reich, 1935). (إبراهيم عيد، ١٩٩٠، ٦٤ . ٦٥).

أجرى كورت ليفين (Kurt Lewin) وزملاؤه، (١٩٣٩)، بحثا هاما حول أثار الاختلافات في يناء الجماعة، وكانوا يريدون إيجاد أجواء اجتماعية مختلفة لجماعات من الأولاد في سن الحادية عشرة بتنويع كيفية أداء الراشدين المراقبين للجماعات لأدوارهم. وكان المشرف الديمقراطي يستدعي الأطفال معا، ويسألهم عما يريدون فعله بالوقت والموارد المتاحة لهم في نادي المجرب. وعلى الرغم من أن المجرب كان هو القائد، إلا أنه صار بالفعل عضوا في الجماعة. فكان يشمر عن ساعديه ويعمل ويلعب ويتمشى مع الخطط المتفق عليها مثله في ذلك مثل أي عضو آخر. وفي المقابل، كان المشرف المتسلط يجمع جماعته ويصف لكل عضو ما يجب عليه عمله، وكيف يجب عليه أن يؤديه. وكان يراقب الأطفال بانتباه ويخبرهم بما عليهم أن يفعلوه في كل خطوة. (وليم و. لامبرت، وولاس إ. لامبرت، ١٩٨٩، ٢٠٢ . ٢٠٣).

وتبين من الدراسة التجريبية أن البناء التسلطي يؤدي إلى إثارة قدر كبير من العدوان يوجه عادة إلى كبش الفداء في الجماعة، لكنه لا يوجه أبدا إلى المشرف. وكان تبلّد الشعور، والافتقار إلى الدافع، والاعتماد على المشرف هي السمات الرئيسية للجماعات التسلطية. وكان القائد المتسلط هو مركز الاتصال، لكن الاتصال كان يقتصر على نشاطات النادي، وكان نشاطا رسميا أكثر منه تلقائيا. وعلى النقيض، كانت الجماعات المنظمة على صورة ديمقراطية

أكثر حرية في الاتصال، وألقى الأعضاء عبارات أكثر، مستعملين الضمير "نحن"، كما قدموا اقتراحات أكثر في شؤون سياسة الجماعة، وأبدوا حبا أكثر لقائدهم. (وليم و. لامبرت، وولاس إ. لامبرت، ١٩٨٩، ٢٠٣).

وكان من الواضح أن هذه الاختلافات في أجواء الجماعة، التي يتحكم فيها القائد، قد أثرت بصورة فارقة على عمل النظام الاجتماعي بأسره. ولوحظت الآثار في نوع الاتصال (الذي يتراوح بين العداء إلى الود) وفي اتجاه الاتصال (بين كل أعضاء الجماعة في حالة، وتجاه المشرف أو منه في الحالة الأخرى) وفي مقدار الاتصال (من صمت التبلد الشعوري إلى الإمطار بوابل من المقترحات).

هل هذه النتيجة قابلة للتعميم في كل الأحوال ؟ تساءل روبرت ميد (Robert Meade, 1971)، عما إذا كان البناء الديمقراطي سيبقى متفوقا بوضوح في ثقافة تسلطية نسبيا. وتم الترتيب لإعادة دراسة ليفين في شمال الهند مع جماعة من الصبيان الهندوس يعملون مع قائد ديمقراطي أو مع قائد متسلط. وتبين عبر فترة تبلغ ستة أسابيع أن الروح المعنوية ونوعية وكمية العمل المنجز كانت كلها في صالح المناخ التسلطي. وتشير هذه النتائج، التي تختلف جد الاختلاف عن النتائج الأمريكية، إلى أن الصغار الذين تربوا في مجتمع تسلطي نسبيا، هم أكثر اعتيادا وارتياحا في مناخ جماعة العمل التسلطية. (وليم و. لامبرت، وولاس إ. لامبرت، ١٩٨٩، ٢٠٣ . ٢٠٤).

التسلطية في التحليل النفسي الاجتماعي.

تحدث إريك فروم (E. Fromm, 1941, 1971)، وهو أحد المحللين النفسيين الاجتماعيين، عن التسلطية، واعتبرها ليست وُحادية البعد، بل هي مركب نفسي يجمع بين الرغبة في الهيمنة والرغبة في الخضوع، أو ما أطلق عليه: "الرغبات السادية، والرغبات المازوخية (السادو/ مازوخي Sado–maschositic)"، وبيّن أن هذا المركب النفسي (السادي/ المازوخي)، كامن ومتأصل لدى جميع الناس، أسوياء وعصابيين، وبدرجات متفاوتة،

وأن كلا من الرغبات السادية والمازوخية تميل إلى مساعدة الفرد على تجاوز شعوره الذي لا يطاق بالوحدة والعجز واللاجدوى. (إريك فروم، ١٩٧٢، ١١٧).

وأسفرت نتائج دراسات فروم، عياديا، على أن التسلطيين ممتلئون بالشعور بالذنب، وبتعذيب الذات، أحيانا بطقوس وأفكار قهرية أشبه بطقوس وأفكار العصابيين القهريين، وأنهم لا يشعرون بالأمن، ويمتلئون رعبا وشعورا لا يطاق بالوحدة واللاجدوى، وأنهم يواجهون العالم بوصفه عالما مغتربا ومعاديا، وأن الشخص السادي يحتاج إلى موضوع تسلطه بقدر ما يحتاج إليه الشخص المازوخي. (إريك فروم، ١٩٧٢، ١١٨). وأن الشخصية التسلطية تحب الظروف التي تحدّ من الحرية الإنسانية، وأنها تحب الخضوع للقدر، فيتوقف على وضعها الاجتماعي ما يعنيه القدر بالنسبة لها. (Fromm, 1971). (إبراهيم عيد، ١٩٩٠، ٦٥ . ٦٦).

وتحدث فروم عن الشخصية ذات النمط السادي/ المازوخي على أنها ليست عصابية، بل سوية، وأنها "شخصية تسلطية استبدادية"، ويقول فروم: "وهذا المصطلح مبرر، لأن الشخص السادي/ المازوخي، يتميز دائما بموقفه نحو السلطة. إنه يعجب بالسلطة ويميل إلى الخضوع لها، لكنه في الوقت نفسه يكون هو نفسه سلطة، ويكون عنده آخرون يخضعون له. وهناك سبب آخر لاختيار هذا المصطلح، هو أن النظام الفاشي يسمي نفسه نظاما تسلطيا بسبب الدور السائد للسلطة في بنائه الاجتماعي والسياسي. ونحن نقصد بمصطلح "الشخصية التسلطية" أنها تمثل نسيج الشخصية الذي هو الأساس الإنساني للفاشية". (إريك فروم، ١٩٧٢، ١٣٣ . ١٣٤).

وذكر فروم في كتابه (الخوف من الحرية)، أن موقف الشخص التسلطي من القوة له نوعان من الأشخاص: الأقوياء والضعفاء، وأن حبه وإعجابه واستعداده للخضوع تستثار آليا بالقوة، سواء كانت قوة شخص أم قوة مؤسسة. فالقوة تسحره، لكن ليس لأي قوة، بل لمجرد أنها قوة. ولما كان حبه يستثار آليا بالقوة، فإن الناس الضعفاء أو المؤسسات الضعيفة تستثير احتقاره آليا. إن رؤيته لشخص عاجز تجعله يريد أن يهاجمه ويهيمن عليه ويذله. (إريك فروم، ١٩٧٢، ١٣٧).

وتبذل الشخصية التسلطية جهدا من أجل تأكيد نفسها وقهر شعورها بالعجز عن طريق محاربة السلطة، بالرغم من أنها مشتاقة للخضوع لها، إن الشخصية التسلطية متمردة. أو أن الأشخاص التسلطيين متمردون نمطيون. وتحب الشخصية التسلطية تلك الظروف التي تحد من الحرية الإنسانية، إنها تحب الخضوع للقدر. والخاصية المشتركة لدي التسلطيين، هو اقتناعهم بأن الحياة محددة بقوى خارج الإنسان، وخارج مصلحته ورغباته. (إريك فروم، ١٩٧٢، ١٣٨ . ١٣٩).

ويرى فروم أن الشخص التسلطي يؤمن بالسلطة طالما أنها قوية وآمرة، وفي الفلسفة التسلطية، لا وجود لمفهوم المساواة، حتى ولو تحدثت عنها، فالعالم بالنسبة للشخصية التسلطية مؤلف من أناس ذوي قوة ومن أناس بلا قوة، مؤلف من الأعلى والأدنى. وهي وفق أساسها السادي/ المازوخي، لا تمارس إلا الخضوع أو الهيمنة، وسواء كانت الفروق بين الناس على أساس الجنس أو العرق، فأساسها عندها هو الدونية أو التفوقية، والفروق التي لا يكون لها هذا الأساس، لا تلتفت إليه. (إريك فروم، ١٩٧٢، ١٤٠ . ١٤١).

ويشير وصف النزعات السادية/ المازوخية والتسلطية إلى الأشكال الأكثر تطرفا للعجز، والأشكال الأكثر تطرفا للهرب منه، عن طريق العلاقة التكافلية بموضوع الخضوع أو السيطرة. (إريك فروم، ١٩٧٢، ١٤١).

التسلطية عند ألبورت.

اعتقد ألبورت (Allport, 1954)، أن الأشخاص شديدي التعصب لا يشعرون بالراحة تجاه الديمقراطية. إنهم يشعرون أن النتائج المترتبة على الحرية الشخصية لا يمكن التنبؤ بها. ومن المفيد العيش في ظل هيكل هرمي للسلطة، حيث يعرف كل شخص مكانه، ويحتل القمة شخص عظيم القوة. أي أن الأشخاص المتعصبون متسلطون Authoritarian، ويظهرون الاحترام والتبجيل للسلطة، ويخضعون لسلطان السلطة ولديهم حاجة لإصدار الأوامر لمن هم أدنى منهم في الهرم التسلطي. ويستشهد ألبورت بدراسة ذَكَرَ فيها الأشخاص المتعصبون بعض القادة الدكتاتوريين، مثل نابوليون عندما تم سؤالهم عن الشخصية التي يعجبون بها أكثر من

غيرها. بينما ذكر الأشخاص غير المتعصبين شخصيات مثل لينكولن Lincoln. ويظهر التسلط في شكوك المتعصبين في غيرهم من الناس، كما أن السلطة في يد الدولة القوية أو الأمة القوية، قادرة على حماية النفس من الآخرين المرتاب فيهم. ففي رأي الشخص المتعصب، فإن أفضل سبيل للسيطرة على هذه الشكوك، هو وجود مجتمع منظم سلطوي وقوي. والشعور بالقومية أمر جيد، كما فعل هتلر. (BEM B. ALLN، ٢٠١٣، ٧٥٤ . ٧٥٥).

الشخصية المتسلطة والتعصب عند ألبورت.

وتحدث ألبورت (Allport, 1958)، عن الشخصية التسلطية والتعصب، فرأى: أن الشخصية التسلطية هي شخصية

متعصبة، تتميز بعدم المرونة، وضيق العقل وضيق التفكير (Narrow–Min). فالشخص التسلطي يتصرف بطريقة تتسم بالاستعلاء، واستعمال القوة، وعدم مراعاة مشاعر الآخرين. (جيهان عبد حداد القيسي، ٢٠١٧، ١٢٠١).

الشخصية المتسلطة خاضعة للسلطة ومعاقبة لتابعيها.

وتعد التسلطية نمط افتراضي من أنماط الشخصية، تعتمد على الشدة وكبت العداء الموجه إلى أحد الوالدين أو صور السلطة الأخرى، والشخصية الفاشية مع أنها خاضعة تماما وبصورة ظاهرية للسلطة، إلا أنها مستبدة ومعاقبة لتابعيها. (Meadow & Kahoe, 1984). (عبد الرقيب أحمد البحيري، ١٩٨٩، ٢٤٩).

وتفرض التسلطية الانصياع الأعمى من جانب الجماعة وأفرادها لمن يتولى إدارتها أو قيادتها أو السلطة والسلطان فيها، وهي بهذا ضد الديمقراطية واتجاهاتها التي تنادي بها الغالبية وتحبذها. وتكاد التسلطية ترادف الدكتاتورية. (فرج عبد القادر طه، ١٩٩٣، ١٩٨).

يؤمن الأشخاص المتسلطون بوجود فروق في المكانة والقوة بين الأفراد. ومن الطبيعي أن يشغل بعض الأشخاص مراكز أقوى مما يشغلها الآخرون. ومن ثم، فإن التسلطيين عندما يشغلون مراكز في السلطة، فإنهم يستعملون هذه القوة، ويكونون حازمين وموجهين في علاقتهم

مع من هم أقل منهم قوة، لكن عندما يكونون تابعين، فإنهم يكونون خاضعين ومرغمين ويتقبلون دورهم كتابعين بصورة طبيعية. ومن ناحية أخرى، فإن غير التسلطيين الذين يؤمنون بالمساواة، يؤمنون بعدم وجود فروق في القوة أو المكانة بين الأفراد، ومن ثم يعارضون الأدوار التسلطية وأدوار التبعية. (محمود السيد أبو النيل، ١٩٨٥ . ب، ٢٨٨). والخضوع.

فالأفراد المازوخيون/ الساديون، يخضعون خضوعا تماما لمن له سلطة عليهم، وفي المقابل يكونون ساديين على من هو دونهم. مثل ذلك الموظف الذي يخضع مازوخيا لرئيسه في العمل، لكنه مع بقية الناس الذين يترددون عليه لقضاء مصالحهم، يذلهم ويذيقهم ألوانا من العذاب، فيبتزهم ويوقف مصالحهم، بوعي أو دون وعي. أو ذلك المدير/ الزوج، الذي يخضع لزوجته ويظهر أمامها ذليلا مقهورا، لكنه يظهر ظالما مستبدا في تعامله مع موظفيه. "أسد عليّ وعلى غيري نعامة".

ويتضمن مفهوم التسلطية فكرة الإخلاص Adherence لقواعد ومعايير الجماعة. مما يجعل التسلطيين يظهرون سلوكا مسايرا ومرتفعا عندما يواجهون بأحكام جماعية Unanimous بدرجة كبيرة. وبوجه عام، فإن التسلطيين يتصرفون داخل الجماعة بطريقة تختلف عن غير التسلطيين، كما أن التسلطيين ؤتوقرطيين، ويميلون إلى مسايرة معايير الجماعة أكثر من غير التسلطيين. (محمود السيد أبو النيل، ١٩٨٥ . ب، ٢٨٨ . ٢٨٩).

بعض سمات التسلطية والتعصب.

إن المتتبع لبحوث التسلطية، يجد:

١. أن هناك تعريفات تستعمل مفهوم التسلطية مرادفا لمفهوم التعصب وتمجيد القوة، والتحريض على العدوان. (أدورنو وآخرون، ١٩٥٠، ليفنسون وهوفمان، ١٩٥٥، كوفمان، ١٩٥٧، بوندر، ١٩٦٢، عبد الستار، ١٩٨٤).

٢. وبعضها الآخر، ينظر إلى التسلطية بوصفها تعني التوحد مع مراكز القوة والسلطة، وتمجيد الذات، والجمود في التفاعل مع الواقع، والتركيز على المركز الاجتماعي. (فروم، ١٩٧١، ميرفي، ١٩٤٧، ستجنر، ١٩٦١).

٣. وبعض التعريفات ينظر إلى التسلطية بوصفها ظاهرة عامة، تكمن في البناء المعرفي للإنسان، وأن جذور التسلطية تكمن في كافة أنشطة الإنسان السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأسرية. (رايش، ١٩٣٥، ١٩٧٠، روكيتش، ١٩٥٤، ١٩٦٠، شيلز Shills، ١٩٥٤). (إبراهيم عيد، ١٩٩٠، ٦٨).

٤. وأشار العديد من الباحثين إلى وجود شبكة من العلاقات بين التعصب والتسلطية، وأكدوا أن التسلطية والسيكوباتية تعد من الشخصيات المعدة للعدوان والاتجاه نحو العنف، حيث أشار كل من أدورنو، وفرنكل . برونسويك، وليفنسون (Adorno, Frankel–Brunswik & Levinson, 1950)، وكين هيسكن (Ken Heskin, 1985)، إلى أن الجماعات ذات التوجهات العنيفة، يوجد بها كثير من الأفراد ذوي شخصية سيكوباتية وتسلطية، ويتميز هذا النمط الأخير من الشخصية بالاحترام المبالغ فيه للسلطة والنفوذ والعداء الشديد للجماعات الخارجية. وبيّن بوركويتز (Borkowitz)، أن التنشئة التسلطية، كما وصفها أدورنو وآخرون، ترتبط عادة بالعدوانية، حيث أشار إلى أن مرتكبي جرائم العنف، هم من الأفراد الذين عانوا من إحباطات قاسية نسبيا في طفولتهم وفي مراهقتهم. كما يميلون إلى أن تكون موانعهم ضد العدوانية ضعيفة جدا. (Duckitt, 1992). وأكد ؤربين وكريستوفر (Orpen Christopher, 1971). على أثر البيئة التسلطية على نشأة التعصب والعنف. حيث أشار إلى أنه في ظل بيئة يكون التعصب والعنف مبدآن متفقا عليهما، منها البيئة الفاشية، حيث تعززه المبادئ الثقافية، فإن العديد من الأفراد سيكونون مرغمين على اعتناق الآراء المتعصبة والعنيفة، مسايرة لهذه البيئة. (Iedere, Garda, 1986). وأشار الباحثون أيضا إلى أن التعصب والتسلط والعدوان، ترتبط بالأمراض النفسية والعقلية، وأن هذه الثلاثية إنما هي شكل من أشكال السلوك المعبر عن مجموعة من الأمراض النفسية والعقلية، فيشير كراون Crown، وسيجل Siegal، وكوبر Cooper، وروكيتش Rockeach، إلى أن التعصب والتسلط شكلان من أشكال

العصاب؛ فالمتسلطون والمتعصبون يتميزون بعدم الاستقرار الوجداني والعصابية، وبشعورهم بعدم الأمان، والقلق، والتوتر الناتج عما يتعرضون له من إحباطات، الذي يؤدي بهم إلى البحث عن كبش الفداء ليتحمل مسؤولية فشلهم، ويوجهون إليه عدوانهم. (عبد الحميد صفوت، محمد إبراهيم الدسوقي، ١٩٩٣، ٤٣١ . ٤٣٢).

وبينت بحوث فيرنون (Vernon, 1963)، أن الأفراد الذين يتصفون بالتفكير النمطي الجامد، يميلون إلى أن يتصفوا بالتعصب والتسلط وعدم التسامح مع السلالات والأعراق والجماعات الأخرى، وبيّن أن ذلك يعود إلى الشعور بعدم الأمان الذي يطغى على بناء الشخصية لديهم. (عطوف محمود يسين، ١٩٨١، ١٠١).

وبينت دراسة حامد زهران ١٩٦٦، تلك العلاقة بين التسلط والعناد والتعصب السلالي، في دراسة له على عينة من المراهقين، في مجتمع قطر. (عطوف محمود يسين، ١٩٨١، ١٠١).

السلطة والطاعة.

حدث سلوك الطاعة Obedience للسلطة على ما هو مكروه، وغير محتمل. قديما، في حدثين ذكرهما القرآن الكريم. ففي الحدث الأول يتلقى شخص أمرا، في صورة رؤيا، من صاحب سلطة بإيذاء شخص آخر، أما الحدث الثاني فكان المطلوب من شخص القيام بواجب الطاعة، بصفته متعلما، لشخص آخر صاحب سلطة، بصفته معلما، يؤدي أعمالا لا يقبلها عقل المتعلم.

أما الحدث الأول، فهو مع نبي الله، إبراهيم عليه السلام، الذي أمره الله أن يذبح ولده (جاءه الأمر من خلال رؤيا). (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٢١).

يقول الله تعالى: "فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى، قَالَ يَأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَدَيْنَهُ أَنْ يَإِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ. وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ". (الصافات: ١٠٢ . ١٠٧).

أما الحدث الثاني الذي يكون فيه ضرورة الالتزام بطاعة صاحب سلطة، كما وردت في القرآن الكريم، أيضا، هو طاعة موسى عليه السلام لعبد من عباد الله، آتاه الله علما، جاءه موسى ليتعلم منه، لكن العلم الذي يتوفر عليه عبد الله، هذا، وقام بعرضه أمام موسى، كان فوق تحمل موسى، لأنه يخالف ما يقبله العقل. فلما التقى موسى عليه السلام بهذا العبد، بعد بحث مجهد، قال له (موسى): "هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا". (الكهف: ٦٦). قال له عبد الله: "إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا". (الكهف: ٦٧، ٩٨). فقال له موسي: "سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا". (الكهف: ٦٩).

نلاحظ في القصتين، أن الأمر استوجب مطلبين هما: (١) الطاعة. (٢) والصبر على ما لا يحتمل.

ومسألة الطاعة على ما هو غير محتمل بالنسبة للشخص المطيع أو المنفذ، توجد كذلك في الحروب، عندما يصدر

صاحب السلطة العسكرية أوامره للقوات العسكرية بتدمير كل شيء يتعلق بالعدو، ويتألف الموقف في سلوك الطاعة من ثلاثة عناصر، هي: (١) السلطة، (٢) والمنفذ، (٣) والضحية.

ما يترتب على الطاعة بالنسبة للمطيع.

عندما يطيع شخص شخصا آخر في السلطة، فإنه يتخلى عن آرائه وأحكامه الشخصية، ويتعاون مع آراء وأحكام السلطة وما تطلبه. ويتعزز الخضوع للسلطة بنتائج إيجابية، مثل: الاستحسان، والمكانة الاجتماعية، وعمليات الترقي، والمكافآت المادية، كما يمكن تدعيم (تعزيز) الخضوع وتقويته، كذلك، بتجنب العواقب غير السارة، كعدم الاستحسان، والغرامات، والجزاءات السلبية، كالضرب والسجن، وحتى الإعدام. ويمجد الكثير من المجتمعات الطاعة، باعتبارها قيمة، حيث يتعلم الكثير من الأطفال في سن مبكرة أن يتلقوا، عادة، الأوامر والتوجيهات من الكبار، عموما، كالآباء والأمهات، والإخوة والأخوات، والأقارب والمعلمين. وتقوم تلك الأوامر والتوجيهات على قواعد معينة، لتهذيب السلوك؛ كالدين، والأخلاق، والتقاليد الاجتماعية، والمصلحة الفردية والمصلحة الجماعية. ومن الممكن أن يجعل هذا الجهد،

لممارسة الطاعة، ميلا عاما للخضوع بلا تساؤل للسلطة القائمة. فعندما يتبع الأفراد قواعد سلوكية موضوعية ومعقولة، ويمتثلون لها، فإن الحياة الاجتماعية، سوف تتجه إلى الهدوء والسلم والنظام، أما إذا كانت الطاعة التي تؤدى من أفراد تجعلهم ينفذون الأوامر بطريقة عمياء، فإن نتيجتها تكون خطيرة، مثلما فعل الجنود الألمان المطيعون للسلطة النازية، فقتلوا ملايين من البشر، دون ارتكابهم أي جرم. (لندا ل. دافيدوف، ١٩٨٣، ٧٦٢). وكذلك تلك الإبادات التي وقعت بسبب الصراعات العرقية في كل من: أوروبا (النازيون ضد اليهود) وأمريكا (ضد الهنود الحمر) ويوغوسلافيا (سابقا) والسودان (دارفور) ورواندا (الهوتو ضد التوتسي)، وميانمار حين تم إعدام وتصفية عرقية لمئات الألاف أو لملايين من البشر، دون جرم ارتكبوه. وتم ارتكاب هذه المجازر في حق البشر بسبب الطاعة العمياء لذوي السلطة.

سلوك طاعة السلطة في معمل تجريبي

أجرى السيكولوجي الأمريكي/ ستانلي ميلغرام (وُلِد بنيويورك، في عام: ١٩٣٣، وتوفيّ بنيويورك، في عام: ١٩٨٤) تجارب عبر حضارية في معهد البحوث الاجتماعية في ؤسلو، ومختبر علم النفس الاجتماعي بجامعة السوربون بين عامي: ١٩٥٧ . ١٩٥٩. وقضى عاما في معهد الدراسات المتقدمة في برنستون، وحصل على شهادة الدكتوراه في علم النفس الاجتماعي من جامعة هارفارد عام ١٩٦٠، تحت إشراف: جوردون البورت، عمل مساعد بحث مع سولومون آش، أحد رواد المنهج التجريبي في دراسة الظواهر النفسية الاجتماعية. وأكمل تجاربه التي سيتم عرضها هنا عندما كان أستاذا مساعدا لعلم النفس بجامعة ييل الأمريكية، والتحق بعد ذلك بمعهد العلاقات الاجتماعية في هارفارد، حيث قام بتدريس علم النفس الاجتماعي التجريبي. حصلت الدراسة الحالية "طاعة السلطة: عرض تجربة Obedience to Autority: An Experience View" على جائزة علم النفس الاجتماعي من الجمعية الأمريكية، في عام ١٩٦٤، باعتبارها تقدما في مجال العلم. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٢١). (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٤١٥ . ٤١٦).

بدأ السيكولوجي/ ستانلي ميلغرام Stanley Milgram في أوائل الستينات (١٩٦٣) من القرن العشرين، بجامعة ييل الأمريكية Yale University, USA، يبحث تساؤلات، أو أسئلة، متعلقة بالطاعة Obedience،

كان س. ميلغرام مهتما اهتماما شغل عليه فكره، بكيفية تأثير الضغوط الاجتماعية (كما في بحوث سولومون آش S. Asch، حول المسايرة أو الإذعان)، في أحكام الأفراد على ما يلاحظونه، وبعد تفكير طويل، لبحث هذه المشكلة، خرج بتصميم تجريبي في غاية الإبداع (رغم أنه تضمن شيئا من الإيهام أو الخداع، كما في بحث أش)، إلا أن تصميمه التجريبي، ذلك، وبحوثه تلك، حول الطاعة، أكسبته شهرة علمية واسعة. كما أثار حوله، في الوقت نفسه، جدلا واسعا صاحبه مدى الحياة. فقد أراد ميلغرام أن يعرف مدى استعداد الناس لإطاعة الأوامر حين تصدر من سلطة شرعية، تقضي بإيذاء شخص آخر، والحد الذي يمكن أن يذهبوا إليه بعد أن تزداد الأوامر قسوة ولا إنسانية. فقام بإبداع تصاميم تجريبية يقوم فيها شخص يوجد في موقع سلطة، بالطلب من مبحوثين (يقومون بدور معلمين) بتوجيه صدمات كهربائية لشخص (ضحية) يمثل دور متعلم، كعقاب له كلما أخطأ في الإجابة على أسئلة في اختبار. (Stanley Milgram, 1974). وأن يرفعوا من قوة تلك الصدمات الكهربائية تباعا، كلما ارتكب المتعلم أخطاء جديدة. وتم تبرير هذا الإجراء التجريبي للمبحوثين، بأنه جزء من تجربة علمية تدرس أثر العقاب على التعلم والتذكر. وتم إجراء هذه التجارب في ظروف أو شروط تجريبية متباينة، من حيث قرب أو بعد المبحوث (المعلم) من المتعلم (الضحية). ومن حيث أن المبحوث (المعلم) يشاهد المتعلم (الضحية) ويسمعه، أو لا يشاهده ولا يسمعه. (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٨٥ . ٨٦). كما تم إجراء التجارب في مكان داخل جامعة ييل، وفي مكان خارج جامعة ييل (في مركز تجاري). (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٤٠ . ٤٤١).

منهج إجراء التجارب على سلوك الطاعة

تحديد المتغير المستقل والمتغير التابع وعينة التجربة.

١) تمثلت المتغيرات المستقلة في التجارب في ثلاثة جوانب، كما يأتي:

١. التعليمات التي يقدمها القائم بالتجربة للمبحوث (المعلم)،

٢. طلبات المتعلم (الضحية) بتوقيف التجربة والانسحاب منها بسبب تألمه من الصدمات الكهربائية.

٣. أنواع التجارب، التي كانت كما يأتي: (أ) تجارب تحدث فيها رؤية . عدم رؤية المبحوث للمتعلم. (ب) تجارب يحدث فيها سماع . عدم سماع المبحوث للمتعلم. (ج) تجارب يكون فيها المتعلم قريبا . بعيدا من المبحوث. (د) تجارب يحدث فيها تلامس . عدم تلامس جسديا بين المبحوث والمتعلم.

٢) أما المتغيرات التابعة في التجربة، فهي: "سلوك الطاعة" الذي ينبغي أن يبديه المبحوث (المعلم)، وهو يتعرض للمتغيرات المستقلة.

٣) أما عينة البحث التي سعى البحث التجريبي إلى أن يتعرف على مدى طاعة أفرادها، فهم: المبحوثون (المعلمون). أما الذين كانوا يتعرضون للعقاب بالصدمات الكهربائية، فهم: معاونو القائم بالتجربة (المتعلمون أو الضحايا). تمت تسميتهم بالضحايا لأنهم سيكونون عرضة للصدمات الكهربائية في التجربة.

خصائص المبحوثين (عينة البحث).

كان المبحوثون في التجارب معظمهم من الرجال، وقليل من النساء، من الذين يقيمون في منطقة نيو هيفن New Haven وبردج بورت Bridgeport، بولاية كونتيكيت الأمريكية Connecticut State, USA، تراوحت أعمارهم بين: ٢٠ إلى ٥٠ سنة، أما المهن فهي متنوعة جدا. كان التركيب المهني لكل مجموعة تجريبية كما يأتي: عمال مهرة وغير مهرة ٤٠ %، أعمال إدارية، أعمال تجارية، رجال أعمال ٤٠ %، مهن متخصصة ٢٠ %. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٢٤).

وتم انتقاء المبحوثين عن طرق إعلان في جريدة محلية. وكانوا أشخاصا عاديين، ملتزمين بالقانون، من أبناء المجتمع المحلي، وكانوا ممثلين لفئات المجتمع المختلفة، من حيث المستوى الاجتماعي الاقتصادي، والدين، وغيرها من الخصائص. وعمل ملغرام على استبعاد أي شخص ظهر ما يبعث على الشك في صحته النفسية، وخصوصا من ظهرت عليه علامات النزعة السادية، لكيلا تعزى النتائج التي يتم التوصل إليها إلى نزعات شخصية لدى المبحوثين، وليس إلى شروط التجربة التي يواجهونها. (Milgram, 1974). حيث يفترض أن إجراءات الانتقاء هذه تضمن إظهار تأثير الموقف وتحييد النزعات الشخصية للمبحوثين، وخاصة اعتقاداتهم الأخلاقية، ووضعها خارج العملية التجريبية. والفكرة المتضمنة في هذا كله، هو أن الناس جميعا قد يخالفون أعز مبادئهم وقيمهم عندما يواجهون موقفا يحثهم على طاعة سلطة يرون أنها شرعية. (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٨٨).

ومما دفع ميلغرام إلى إجرائه لتجارب الطاعة، بصفتها مواقف، اعتقاده أن التفسيرات النزوعية الأخرى، للتعصب أو للإبادة الجماعية، أو للطاعة، كالتفسير بالشخصية التسلطية، لا تأخذ بعين الاعتبار أثر القوى الاجتماعية على السلوك، وكيف أنها قد تكون أقوى أثرا من النزعات الشخصية. وترتكب النظريات النزوعية بذلك خطأ قاتلا، حين تفترض أن "الأفعال الشريرة"، لا يرتكبها إلا "أناس أشرار". (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٨٨). بمعنى أن ستانلي ميلغرام كان موقفيا وليس نزوعيا، مثل أدورنو وزملاؤه، في نظريتهم حول الشخصية التسلطية.

عناصر الموقف التجريبي.

تكوّن الموقف التجريبي من:

١. المبحوثون، وهم الذين يبحث لديهم سلوك الطاعة.

٢. قائمة الكلمات الثنائية التي يعلمها المعلم للمتعلم ثم يختبره فيها.

٣. ردود فعل معاوني القائم بالتجربة إزاء الصدمات الكهربائية التي يتلقونها من المبحوثين.

٤. التعليمات التي يقدمها القائم بالتجربة.

٥. الجهاز الكهربائي المولد للصدمات الكهربائية.

(القراء الأعزاء، لا ننسى أن هذه التجربة حول طاعة السلطة والخضوع لأوامرها، وبالتالي فإن عينة البحث هي المسماة: المبحوثين).

أدوات ووسائل التجارب.

هناك أدوات ووسائل التجربة ينبغي معرفتها: تم تصميم جهاز يماثل أجهزة تقديم صدمات كهربائية، عليه ثلاثون درجة لمستويات قوة الصدمة الكهربائية، تتراوح بين ١٥ فولت إلى ٤٥٠ فولت. وتعمل كل درجة منها بمفتاح مستقل، وتأخذ لوحة مفاتيح التشغيل شكلا أفقيا.

وقبل البدء في التجربة، يقوم القائم بالتجربة بإحداث صدمة كهربائية مقدراها ٤٥ فولت، للتأكد من فعالية الجهاز، أما المفاتيح الخاصة بدرجة قوة كل صدمة كهربائية، فقد وضعت على مفاتيح الصدمات الكهربائية تعليمات متدرجة من منخفضة قوية، كما يأتي: تبدأ مكتوب عليها (صدمة خفيفة) ثم تتدرج حتى تصل إلى أقصاها مكتوب عليها (خطر: صدمة عنيفة). (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٢٦).

الهدف الحقيقي للتجارب والهدف المعلن عنه لعينة البحث.

كان الهدف الحقيقي للتجربة هو التعرف على العوامل التي تجعل الأفراد يطيعون سلطة شرعية، حتى ولو كانت أوامر السلطة تطلب تنفيذ أعمال قاسية جدا ومؤلمة جدا. أما الهدف المعلن عنه لعينة البحث (المبحوثون) هو أن البحث يجرى في سياق التجريب في إطار التعلم، وبالتحديد فإنه كان بحثا حول أثر العقاب على التعلم والتذكر.

التنويع في ظروف التجارب.

لم تسع التجارب إلى التعرف على الدوافع الكامنة خلف سلوك الطاعة من جانب المبحوثين، وبدلا من ذلك، بحثت التجارب المتغيرات الموقفية المسؤولة عن جعل الفرد يطيع الأوامر التي يتلقاها من ذوي السلطة.

وتمثل التنويع في التجارب، الذي تم وضعه، في التغيير المنهجي في المواقف (وهو بمثابة متغيرات مستقلة)، ثم ملاحظة تأثير ذلك على سلوك الطاعة. وتبين أن بعض المواقف تؤدي إلى طاعة أكبر لأوامر القائم بالتجارب أكثر من غيرها من المواقف الأخرى، ولا علاقة لهذا التغيير في المواقف بزيادة أو بانخفاض أي دافع. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٤٧).

وتساءل القائم بالتجربة، إذا كان المبحوث عند طاعته للقائم بالتجربة، أنه من الضروري تجنب النظر إلى الضحية، فهل من الممكن حدوث عكس ذلك ؟ وهل تقل طاعة المبحوث للقائم بالتجربة كلما اقترب من الضحية ؟ للإجابة عن هذين السؤالين، تم إجراء أربعة أنواع من التجارب. (إن تنوع هذه التجارب يؤدي دور المتغيرات المستقلة، كما ذكرت، أي أنها من المحتمل أن يكون لها تأثير على المتغير التابع، وهو سلوك الطاعة لدى المبحوثين). وتم إجراء التجارب في الظروف الأربعة، كما يأتي.

١. الظرف الأول: ظرف البعد لا سماع ولا مشاهدة. يكون المتعلم في حجرة أخرى بعيدا عن المبحوث، بحيث لا يسمعه ولا يراه.

٢. الظرف الثاني: ظرف السماع فقط. يكون المتعلم في حجرة أخرى، لكن المبحوث يسمع صوته ولا يراه.

٣. الظرف الثالث: ظرف السماع والمشاهدة. يكون المتعلم والمبحوث قريبين من بعضهما في حجرة واحدة كل واحد منهما يشاهد الآخر ويسمعه.

٤. الظرف الرابع: ظرف القرب والملامسة. يكون المتعلم والمبحوث قريبين من بعضهما ويتلامسان جسديا بالأيدي. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٢٩).

ويكمن جوهر التجربة في التنويع المنهجي للعوامل التي يُتَصوّر تأثيرها على درجة الطاعة لأوامر القائم بالتجربة، ولمعرفة تحت أي الظروف يكون الخضوع للسلطة ممكنا، وتحت أي الظروف يقوم المبحوث برفض السلطة. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٢٧).

وهذه التغييرات في الإجراءات التجريبية، رغم أنها شكلية، إلا أنها كانت ذات أهمية نظرية، إن عمل القائم بالتجربة على إجراء التعديلات، كان هدفه التعرف على الآثار التي تظهر، وتضمنت التعديلات ثلاثة إجراءات، هي:

١. طريقة إعطاء الأوامر.

٢. الموقع الذي تجرى فيه التجربة.

٣. المسافة بين المبحوث والمتعلم.

وكانت النتيجة المثيرة للاهتمام، تلك التي تعلقت بالقرب المكاني أو المسافة بين المبحوث والمتعلم، فقد تبيّن أنه كلما قصرت المسافة بينهما، قلت نسبة الطاعة، إلا أنها لم تختف تماما. وظهر ذلك، خاصة، عندما وُضِع المبحوث والمتعلم في غرفة واحدة، وعندما كانت إجراءات التجربة تقتضي أن يضغط المبحوث بيد المتعلم على مفتاح الجهاز الذي يولّد الصدمة الكهربائية، وهو ظرف "القرب . الملامسة"، فانخفضت نسبة الطاعة إلى ١٨ %، أما في ظرف القرب والمشاهدة والسماع، الذي كان المبحوث والمتعلم يجلسان معا في غرفة واحدة، فقد زادت نسبة الطاعة قليلا، ووصلت إلى ٢٠ %. (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٨٧).

إجراءات تنفيذ التجارب.

يقوم القائم بالتجربة باللقاء مع كل من المبحوث (المعلم) والمتعلم (معاون الباحث)، ودفع ٤.٥٠ دولار لكل منهما، كما وعدهما. ثم يقدم لهما توجيها مختصرا، بأن هدف البحث هو معرفة أثر العقاب على التعلم والذاكرة.

يقوم المبحوث بتعليم معاون الباحث (أو المتعلم)، قائمة من أزواج الكلمات المتداعية،

يؤخذ المتعلم إلى غرفة مجاورة ويقيد في كرسي كهربائي، لمنع الحركات الزائدة، ثم توصل الأقطاب الكهربائية بمعصمه المدهون بمعجون معين لتجنب الحروق. ويقال للمبحوث إن مهمته هي تعليم المتعلم قائمة من الكلمات من نوع التداعيات الثنائية، ثم اختباره فيها، وإذا أخطأ في الاختبار يعاقبه بالصدمات الكهربائية. (لندا ل. دافيدوف، ١٩٨٣، ٧٦٣).

يكون العقاب على شكل صدمة كهربائية يتعرض لها المتعلم عن طريق جهاز مولد للصدمات الكهربائية يتحكم فيه المبحوث القائم بدور المعلم. ويطلب منه القائم بالتجربة زيادة قوة الصدمة الكهربائية درجة بدرجة، كلما زادت أخطاء المتعلم، ووفق الخطة الموضوعة يخطئ المتعلم أخطاء عديدة، وعلى المعلم أن يعاقبه بصدمات كهربائية تزداد عنفا، حتى يصل إلى أقوى صدمة يمكن للجهاز الكهربائي توليدها.

تسجيل استجابات المتعلم.

كانت استجابات المتعلم مرتبة ومسجلة على شريط صوتي، وكانت كل صيغة اعتراض متوافقة مع مستوى معين من الصدمات؛ فبعد مستوى ٧٥ فولت، يبدأ المتعلم في إصدار أنين، وعند مستوى ١٥٠ فولت يطلب إخلاء سبيله، وعند ١٨٠ فوات يصرخ ولا يعود يطيق آلام الصدمة الكهربائية، وعند ٣٠٠ فولت يرفض إعطاء أي إجابات على اختبار التذكر، مصمما على أنه لم تعد له أية علاقة بالتجربة ويجب فك قيوده.

إذا توقف المتعلم عن الإجابة يخبر القائم بالتجربة المبحوث اعتبار عدم الإجابة بمثابة الإجابة الخاطئة وعليه عقابه

عليها، ويدعم القائم بالتجربة هذا القرار قائلا للمبحوث "ليس أمامك اختيار، يجب الاستمرار في التجربة حتى نهايتها".

ويقول له ذلك إذا رغب المبحوث في إيقاف التجربة.

منح درجات للمبحوثين.

تقدم درجات كمية للمبحوثين على الصدمات التي يقدمونها للمتعلم تتراوح بين: صفر عندما يرفض المبحوث تقديم الصدمة الكهربائية للمتعلم و ٣٠ درجة للمبحوث الذي يقدم اعلى درجة من الصدمة الكهربائية للمتعلم.

إجراء التعمية في الموقف التجريبي.

لم يكن المتعلم، وهو في الحقيقة مساعد للقائم بالتجربة، يتلقى أي صدمة كهربائية على الإطلاق، لأن الجهاز المولد للصدمات الكهربائية كان مزيفا، وتم تصميم التجربة على أساس أن المبحوثين، هم، فقط، الذين يعتقدون أنهم فعلا يعاقبون المتعلم بصدمات كهربائية، مما يجعل دراسة سلوك الطاعة لديهم ممكنة تجريبيا. (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٨٦).

متى يتم التوقف عن مواصلة التجربة ؟

تصل التجربة إلى نهايتها إذا رفض المبحوث زيادة قوة الصدمة الكهربائية أكثر من المستوى الذي وصل إليه. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٢٧).

القائم بالتجربة يرتكب خطأ في الإجراءات التجريبية.

تم ارتكاب خطأ خطير من قبل القائم بالتجربة، حين جرى إبلاغ المبحوثين، أن ما طُلِب إليهم فعله، وهو توجيه صدمات كهربائية إلى المتعلم حين يخطئ في الإجابة، أن تلك الصدمات الكهربائية لن تلحق ضررا بصحة المتعلم، إن هذه التعليمة أربكت عملية تفسير النتائج، بل أدحضتها تماما. (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٩٣).

النتائج المترتبة عن تنويع ظروف التجارب وسلوك الطاعة

١) تجارب القرب/ البعد بين القائم بالتجارب والمبحوث.

تساءل القائم بالتجارب، ما الدور الذي تؤديه العلاقة المكانية بين القائم بالتجربة والمبحوث في سلوك الطاعة ؟ فوجد

أن هناك أسبابا تدعو لتأكيد ذلك الدور، فالمبحوث يهتم أساسا بالقائم بالتجربة أكثر من اهتمامه بالمتعلم، فالمبحوث جاء

إلى المعمل التجريبي من أجل اتباع تعليمات هذا الشخص القائم بالتجربة.

وفي سلسلة من التجارب تم تغيير المسافة المكانية والوجود الفعلي أو وجود القائم بالتجربة، كما يأتي،

١. ففي أحد الظروف التجريبية جلس القائم بالتجربة على بعد بضعة أقدام من المبحوث.

٢. وفي الظرف الثاني ترك القائم بالتجربة الغرفة بعد إلقاء التعليمات الأساسية على القائم بالتجربة ثم أخذ يعطيه أوامره بالهاتف، بعد ذلك.

٣. وفي الظرف الثالث لم تتم المقابلة وجها لوجه بين القائم بالتجربة والمبحوث، بل أعطاه تعليماته على شريط تسجيل عند دخول المبحوث إلى المعمل التجريبي. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٣٥).

فجاءت النتائج لتبين أن الطاعة تقل بحدة بعد مغادرة القائم بالتجربة للمعمل التجريبي الذي يتواجد فيه المبحوث، وأن عدد المبحوثين الذين أطاعوا القائم بالتجربة كان في الظرف الأول (وجود القائم بالتجربة) ثلاثة أضعاف الظرف الثاني (إعطاء الأوامر بالهاتف)، أي ٢٦ مبحوثا في الظرف الأول، مقابل ٩ مبحوثين فقط في الظرف الثاني، وكانت كا^{2} = ١٤.٧، وهي دالة إحصائيا عند مستوى ٠.٠١، ويعني هذا أن المبحوثين يبدون أنهم قادرون على اتخاذ موقف أكثر تشددا من القائم بالتجربة، حينما لا يواجهونه وجها لوجه. كما أن قوة سلطته على المبحوثين تقل في هذه الحالة، بل إنه في غياب القائم بالتجربة، ظهر سلوك غريب من جانب المبحوثين، فبالرغم من استمرارهم الظاهري في أداء التجربة، اتجه العديد منهم إلى إعطاء الضحية صدمات أضعف مما أمرهم به القائم بالتجربة، ولم يخبروه بهذا الاختلاف. (لكن القائم بالتجارب كان قد أعدّ مقياسا موضوعيا لسلوك الطاعة لدى المبحوثين، فكان يسجل قوة الصدمة التي يعطونها فعليا للمتعلمين، ولم يكن المبحوثون يعرفون ذلك)، وكان لسلوك المبحوثين معنى مهما، وهو أنهم وجدوا من السهل عليهم أن يحلوا الصراع بهذا السلوك، بدلا من أن يخالفوا السلطة بطريقة مباشرة. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٣٥ . ٤٣٦).

وفي ظرف تجريبي آخر، وبعد أن كان القائم بالتجربة يعطي تعليماته بالهاتف، وعندما يبدي بعض المبحوثين تذمرهم أو رفضهم طاعة التعليمات، يعود القائم بالتجربة إلى الظهور في مواجهة المبحوث، فيعود المبحوث إلى طاعته مرة أخرى. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٣٦).

٢) نتائج الظروف التجريبية الأربعة.

كان المبحوثون أربعين فردا في كل ظرف تجريبي، وتبين أن متوسط سلوك الطاعة ينخفض بزيادة اقتراب المبحوث من المتعلم في المكان. وأشارت النتائج على أساس حسابها بطريقة النسبة المئوية لسلوك الطاعة، إلى ما يأتي:

١. ٣٥ % من المبحوثين رفضوا طاعة القائم بالتجربة في حالات البعد عن المتعلم.

٢. ٣٧.٥ % رفضوا طاعة القائم بالتجربة في حالة سماع المبحوث لصوت المتعلم.

٣. ٦٠ % رفضوا طاعة القائم بالتجربة في حالة التقارب بين المبحوث والمتعلم.

٤. ٧٠ % رفضوا طاعة القائم بالتجربة في حالة التقارب اللمسي بين المبحوث والمتعلم. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٣٠).

إذا كانت نسبة من رفضوا طاعة القائم بالتجربة هي ٣٥ %، فإن المبحوثين الذين أطاعوا القائم بالتجربة هو: ٦٥ %. ولم تتغير هذه النتيجة عندما أدخل ميلغرام النساء إلى التجربة كمبحوثات (معلمات)، وأثارت النتيجة المتعلقة بالنساء، جدلا، لأن المتوقع أن تكون النساء أكثر تعاطفا مع الضحايا عندما يبدون أنهم يتألمون من الصدمات الكهربائية التي يتلقونها منهن، مما يجعلهن أقل طاعة من الذكور، لكنهن ظهرن أنهن أكثر طاعة، لأنهن يعتبرن أكثر سلبية. (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٨٦).

العوامل المؤثرة في سلوك طاعة السلطة.

أظهرت نتائج دراسات لاحقة، التي قام بها ميلغرام وآخرون، في جامعة ييل، أن سلوك الطاعة كان يتوقف، إلى حد ما، على سمات الموقف وسمات الفرد المشارك. وفيما يأتي العوامل التي تم بحثها على أنها تؤثر على سلوك الطاعة.

عامل قرب المبحوث من المتعلم.

رفض ٨٠ % من المبحوثين الإذعان للأوامر بتوجيه الصدمة الكهربائية إلى المتعلم عندما كان يجلس أمام المبحوث مباشرة. (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٩٣).

عامل البعد.

عندما كان القائم بالتجربة يلقي أوامره عبر الهاتف من مسافة بعيدة، فإن من كانوا يطيعون أوامره طاعة كاملة لم

تتعدّ نسبتهم ٢٢ %، وكذلك، فإذا وُضع المتعلم في حجرة بعيدة، يكون أقصى متوسط الصدمات الكهربائية التي يحدثها المبحوثون هو: ٢٧٥ فولت.

عامل تقييد المتعلم.

إذا كان المبحوثون هم الذين يقيّدون المتعلم في الكرسي جسميا، فإن أقصى معدل للصدمات الكهربائية المقدمة له هو: ١٧٥ فولت.

عامل توكيل شخص آخر.

يستطيع المبحوثون توكيل مسؤولية إيذاء المتعلم إلى شخص آخر: أي أن المبحوث يقوم بإلقاء أزواج الكلمات، بينما يقوم شخص آخر بإحداث الصدمات. في هذه الحالة، قد يكمل كل فرد إلى النهاية.

عامل تحدي الأوامر.

إن الذين كانوا يثابرون لا يتعدون ١٠ % إذا رأوا شخصا يتحدى الأوامر.

عامل السمات الثابتة في الشخصية.

إن السمات الثابتة في الشخصية، قد تجعل بعض الأفراد عرضة لأوامر السلطة، فأولئك الذين يطيعون طاعة كاملة، يقال بأن لديهم عددا كبيرا من اتجاهات السلطة.

عامل الجندر.

لم تظهر فروق بين الرجال والنساء. (Milgram, 1974). (لندا ل. دافيدوف، ١٩٨٣، ٧٦٥ . ٧٦٦).

عامل مصدر السلطة.

يبدو أن انتماء مصدر السلطة عاملا مهما في تفسير النتائج التي تم الحصول عليها، إضافة إلى ضرورة اعتباره عملا مهما في أي نظرية شاملة لتفسير سلوك الطاعة لدى البشر. فهناك ارتباط بين طاعة الناس للأوامر والمؤسسة أو المكان الذي يصدر فيه هذا الأمر.

فربما يطيع المبحوثون الأوامر في معمل في إحدى الجامعات الكبيرة، لكنهم لا يطيعون الأوامر نفسها عند صدورها في مكان آخر. لذلك من الضروري سؤال الشخص عن علاقة الطاعة بتصور الشخص المطيع للمكان الذي صدر فيه الأمر بالطاعة. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٤٠).

إجراء التجربة في الجامعة.

ألا يمكن افتراض أن فعالية أوامر القائم بالتجربة قد اعتمد على المؤسسة الأكبر التي ينتمي إليها. لقد أجريت هذه التجارب في جامعة ييل، وهي مؤسسة ينظر إليها الناس بهيبة واحترام.

عندما تم إجراء مقابلات مع المبحوثين بعد التجارب، أدلى العديد منهم في أن إشراف الجامعة على هذه التجربة، زودهم بالثقة وبالشعور بالكفاءة، والبعد عن المصلحة الشخصية، وقالت الغالبية منهم، إنه لولا أن التجربة في الجامعة، لما أقدموا على إعطاء الصدمات الكهربائية للمتعلم. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٤٠).

لماذا أطاع الناس القائم بالتجربة في تجارب ميلغرام، وهو شخص ليست له أهمية كإنسان سيعطي مكافأة أو عقاب ؟ ربما خضع الناس لأوامر القائم بالتجربة وأطاعوه في إلحاق الأذى بالآخرين، لأن التجربة كانت تجرى في جامعة ييل Yale University العريقة والموقرة، وذات السمعة الرفيعة. وللتأكد من هذا قام ميلغرام بإجراء نفس التجربة في مركز تجاري قرب بردج

بورت بولاية كونكتكت، فكانت نسبة من أطاعوا الأوامر طاعة كاملة حوالي ٤٨ %. ومن الواضح أن مكانة جامعة ييل كانت مسؤولة جزئيا (متغير دخيل) عن طاعة المشتركين في التجربة. (لندا ل. دافيدوف، ١٩٨٣، ٧٦٥).

إجراء التجربة خارج الجامعة.

لكي يتم التأكد من دور الجامعة في التأثير على سلو ك الطاعة، تم نقل أجهزة التجارب إلى أحد المراكز التجارية وسط مدينة بردج بورت، وأجريت نفس التجارب دون الإشارة إلى أي علاقة لها بالجامعة.

تمت دعوة المبحوثين إلى التجربة عن طريق البريد، وهو الإجراء نفسه الذي تم اتباعه في جامعة ييل. مع بعض التغييرات المناسبة والهادفة إلى طمس أي علاقة بين التجربة والجامعة. وكما في التجربة السابقة تم دفع ٤.٥ دولارات نظير حضورهم لإجراء التجربة، كما كان الحرص على توحيد خصائص العينة بما يتعادل مع عينة الجامعة.

لم تنخفض درجة التوتر بين مبحوثي بريدج بورت، أما تقدير المبحوثين لدرجة الألم التي شعر بها المتعلم، فكانت مرتفعة عن التجربة التي جرت في الجامعة.

كانت نسبة الطاعة في تجربة بريدج بورت منخفضة عن نسبة الطاعة في نتائج تجربة الجامعة، لكن الفرق لم يصل إلى مستوى الدلالة الإحصائية (٤٨ % في تجربة بريدج بورت مقابل ٦٥ % لتجربة الجامعة وصلت إلى الحد الأقصى من الصدمة الكهربائية). (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٤١).

عامل الجماعة.

لاحظ القائم بالتجربة من خلال ما يجري في الحياة اليومية أن قدرا كبيرا من الطاعة أو عدم الطاعة يتأثر بتدخل الجماعة، وفيما يأتي أربعة ظروف لإجراء التجربة جماعيا.

١. جماعة تؤدي إلى عدم الطاعة. في إحدى التجارب قام اثنان من مساعدي القائم بالتجربة بالإضراب عن إكمال التجربة في منتصف إجراءاتها، فأتبعهم ٩٠ % من المبحوثين.

٢. في ظرف آخر للتجربة، اتبع المساعدون تعليمات القائم بالتجربة بحرفيتها، وزاد ذلك من تأثير القائم بالتجربة، لكن بصورة غير قوية.

٣. في ظرف ثالث للتجربة، لم يقم المبحوث بتوجيه الصدمة الكهربائية، وترك ذلك لأحد المساعدين، بينما قام هو بدور الموجه للمساعد، وفي هذا الظرف لم يوقف التجربة سوى ثلاثة مبحوثين فقط من أربعين مبحوثا.

٤. في التجربة الجماعية الأخيرة، قرر المبحوثون أنفسهم تحديد مستوى الصدمة الكهربائية الذي سوف يستعملونه، وفي هذا الإجراء اقترح اثنان من المساعدين مستويات للصدمة الكهربائية أعلى كثيرا من المستويات المقبولة. لكن بعض المبحوثين صمموا على تقديم مستوى أدنى من المعيار الجماعي رغم ضغوط الجماعة. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٤٢ . ٤٤٣).

النتائج المتعلقة بحالات المبحوثين والمتعلمين

الصراع الذي وقع فيه المبحوثون في الموقف التجريبي.

وعندما تزداد الصدمات الكهربائية قوة، مما يجعل المتعلم يتألم منها كثيرا ويطلب إيقافها، يطلب القائم بالتجربة من المعلم، أن يتجاهل احتجاجات المتعلم، ويزيد من قوة الصدمات الكهربائية، حتى يتعلم المتعلم. وهنا يظهر موقف مهم وأساسي في مسار التجربة، وهو الصراع الذي يقع فيه المبحوث بين مطلبين غير متناسقين، وهما: (١) الاستمرار في طاعة أوامر القائم بالتجربة في إعطاء صدمات كهربائية للمتعلم، (٢) أو رفض تلك الأوامر والتوقف عن تقديم الصدمات الكهربائية استجابة لاحتجاجات المتعلم. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٢٥ . ٤٢٦).

وهنا يقدم الموقف التجريبي إطارا لدراسة استجابات المبحوث تجاه الصراع الأساسي لدى المبحوث في التجربة بين: (١) أوامر المجرب بالطاعة والاستمرار في تقديم العقاب بالصدمات الكهربائية، (٢) وطلب المتعلم توقيف التجربة الذي يزداد فيها العقاب بزيادة الصدمات

الكهربائية. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٢٧). وكأنه صراع بين النزوعية والموقفية، أو اختبار لأي منهما أقوى.

التوترات في استجابات المبحوثين.

هناك أدلة أكدت أن المبحوث يصدق أن صرخات المتعلم حقيقية، مثل ارتفاع درجة التوتر ودرجة الألم المتصورة التي

أجاب بها المبحوثون، وكان المبحوثون يعلنون قوة الصدمة الكهربائية قبل تقديمها. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣،

هامش صفحة: ٤٢٩).

عند تنفيذ المبحوثين لتعليمات القائم بالتجربة، ظهرت استجابات توتر قوية وانفعالات عنيفة لدى عدد، لا بأس به، منهم، فقد ظهر عليهم العرق، والارتعاش، والتلعثم، وعض الشفاه، والزمجرة كلما زاد ضغط الموقف عليهم. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٣٦).

ولوحظ أن بعضهم أخذ في الضحك وبعضهم الآخر انخرط في البكاء، وحسب تقدير ميلغرام، لم يكن ذلك الضحك دليلا على النزعة السادية أو القسوة، بل كان رد فعل للتوتر. ولكنهم في نهاية الأمر لم يحملوا أنفسهم مسؤولية ما فعلوا. ويبدو أن هناك تشابها بين مبحوثي ميلغرام وما يحدث لدى الطيارين الذين يقومون بقصف المدنيين بالقنابل طاعة للأوامر. فقد روى أحد الطيارين الذين قاموا بالعديد من الغارات في فيتنام (....) أنه كان يشتغل بالمهمة التي كان يقوم بها، ولم يكن يفكر في الناس الذين يقصفهم. (Hearts & Minds, 1974). (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٨٧).

وفيما يلي عرض حالتين لمبحوثين؛ أحدهما "غير مطيع" رفض التعليمات ورفض الاستمرار في التجربة. والآخر أبدى طاعة ثم حصل له توتر شديد، إلا أنه أكمل التجربة إلى نهايتها.

١) مبحوث غير مطيع.

قال هذا المبحوث ما يأتي: "*هل يتألم، هل آذيته، حسنا لا أريد أن أكون مسؤولا عما يحدث له، لا يمكنني الاستمرار أكثر من ذلك، لا أعلم هل هو بخير أو أصابه مكروه، أعني ربما يكون مريضا بالقلب والتجربة مضرة بحياته، لست راضيا عما أفعله، إنه يطلب النجدة، من الواضح أنه في مشكلة حقيقية*". ثم يرفض إكمال التجربة إلى نهايتها. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٣٦).

٢) مبحوث مطيع ثم حدث لديه توتر شديد.

وفيما يلي وصف لسلوك مبحوث مطيع، بدأ التجربة هادئا، لكن توتره زاد بعد بدء التجربة، وعند الوصول إلى قوة

صدمة كهربائية مقدارها ١٥٠ فولت، بدأ في توجيه الحديث إلى القائم بالتجربة، بنبرات ثائرة، قائلا عند كل مستوى من

الصدمة الكهربائية بالفولت:

– عند ١٥٠ فولت: "*هل تريدني الاستمرار ؟*

– عند ١٦٥ فولت: *هذا الشخص يصيح، يبدو أنه سيصاب بأزمة قلبية، هل تريدني أن أستمر ؟*

– عند ١٨٠ فولت: *لا يستطيع تحمل كل هذا، لن أتسبب في قتل هذا الرجل، أتسمع صياحه ؟ إنني أرفض تحمل المسؤولية، إنه يموت، هل تتحمل أنت المسؤولية ؟ (يقبل القائم بالتجربة المسؤولية).*

– عند ١٩٥ فولت: *هل تسمعه يصرخ، اسمع بنفسك (هنا يقول القائم بالتجربة إن تعليمات التجربة أن تستمر)، ويقول المبحوث أنا أعلم ذلك، ولكنه لم يكن يعلم كم هي مؤلمة.*

– عند ٢١٠ فولت: *قدم الصدمة الكهربائية دون أن يعلق.*

– عند ٢٢٥ فولت: *قدم الصدمة الكهربائية دون أن يعلق.*

– عند ٢٤٠ فولت: *غير معقول، هل تعني أني سأستمر في إعطاء الشخص هذه الصدمات حتى نهاية العلامات، اعذرني، لن أقتل هذا الرجل، لن أعطيه ٢٤٠ فولت (يقول القائم بالتجربة: تعليمات التجربة أن تستمر). أنا أعلم ذلك، ولكن ماذا عن الرجل الذي يصرخ هناك ؟".*

وعلى الرغم من الاعتراضات الثائرة لهذا المبحوث التي صاحبت أداءه في التجربة، إلا أنه اتبع التعليمات ووصل إلى مستوى مرتفع مما يسمح به الجهاز الكهربائي في تقديم الصدمات الكهربائية، لقد أدى هذا المبحوث دور الفصل بين الكلمة والسلوك، فعلى الرغم من أنه قرر لفظيا ألا يستمر، إلا أنه استمر فعليا في الاتجاه الذي يأمر به القائم بالتجربة. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٣٧).

عرض نموذج لرد فعل المتعلم إزاء الصدمات الكهربائية.

في الحقيقة لم تجر تجربة واحدة بل عدة تجارب بإجراءات تجريبية مختلفة (كما تم ذكره في فقرة سابقة)، ففي إحدى التجارب التي يسمع فيها صوت المتعلم وهو يصدر صرخات واعتراضات، عندما يتلقى الصدمات الكهربائية من المبحوث، كانت صرخاته واعتراضاته كما يأتي:

– فوق ٧٥ فولت: كان المتعلم يبدي عدم ارتياح.

– وبعد هذا المستوى يبدأ في الأنين البسيط.

– وتظل هذه الاستجابة إلى قوة ١٠٥ فولت.

– وعند مستوى ١٢٠ فولت يصيح قائلا للقائم بالتجربة إن الصدمة الكهربائية بدأت تؤلمني.

– ثم تبدأ تأوّهات الألم عند مستوى ١٣٥ فولت.

– عند مستوى ١٥٠ فولت يصرخ المتعلم، قائلا للقائم بالتجربة: أخرجني من هنا، لقد صرفت النظر عن المشاركة في التجربة، وأرفض الاستمرار فيها.

– تستمر الصراخات على هذا الشكل حتى يصل مستوى الصدمة الكهربائية إلى ١٨٠ فولت فيصرخ المتعلم، قائلا: لا أستطيع تحمل هذا الألم.

– عند مستوى ٢٧٠ فولت يتوقف المتعلم عن الكلام وتتحول استجاباته إلى صرخات فيها ذعر، مع تكرار نداءاته بالخروج من هذا المكان.

– عند مستوى ٣٠٠ فولت، يؤكد بعد إطلاق صرخة ألم، أنه ليس مشاركا في التجربة، وعليهم أن يتركوه وشأنه، ثم يتوقف على الرد على الأسئلة، بل يصدر أنينا وحشرجة ألم.

– ويستمر هذا إلى المستوى الأخير، وهو: ٤٥٠ فولت.

وطبعا يتوقف غالبية المبحوثين قبل بلوغ هذا المستوى (٤٥٠ فوات). (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، هامش صفحة: ٤٢٩).

مفهوما الموقفية والنزوعية.

ينبغي فهم مصطلحي الموقفية والنزوعية، لأنهما يساعدان على فهم الكثير من الأفكار والممارسات في هذا الفصل وفي فصول أخرى من هذا الكتاب.

يشير مفهوم الموقفية Situationism إلى أن فهم السلوك يعتمد على العوامل المتوفرة في البيئة التي أثرت في الشخص فأصدر ذلك السلوك، محل البحث أو الدراسة، أكثر مما تأثر سلوك الفرد بقيمه وبمعتقداته أو بسمات شخصيته. أما النزوعية Dispositionism، فتعني أن السلوك حدث بفعل شخصية الفرد وما لديه من معتقدات وقيم واتجاهات وسمات شخصيته. ويمكن النظر إلى السلوك على أنه حدث؛ إما أن يكون مدفوعا بأسباب داخلية في شخصية الفرد (نزعات)، وإما بأسباب خارجية موجودة في البيئة (مواقف)، وإما بتأثير من مزيج يتكوّن من النزعات والمواقف. (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ١٩).

وتشير سوزان فيسك Susan Fiske، شيلي تايلر Shelley Taylor، الباحثتان البارزتان في علم النفس الاجتماعي، إلى أنه من الصعب، من الناحية العملية، تحديد إذا كان سلوك شخص ما يمكن تفسيره بالموقف الخارجي، أو بنزعاته الشخصية. وتقدمان المثال المعبّر

الآتي: "إذا كان وليام شخصا لئيما وعدوانيا إزاء الآخرين، لأن أخاه كان يضربه وهو صغير". وتتساءلان: "هل السبب في سلوكه الحالي داخلي أو خارجي". (Susan Fiske & Shelley Taylor, 1984). أي، هل يفسر سلوكه بنزعته الشخصية اللئيمة والعدوانية، أو يفسر سلوكه بالعودة إلى الظروف التي مر بها ؟". (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٢٢ . ٢٣).

الاتجاه الموقفي في مواجهة الاتجاه النزوعي في طاعة السلطة.

مثال على النزوعية والموقفية. تقابل اللاعب الأولمبي المصري في رياضة الجيدو، محمد رشوان، مع الياباني ياماشيتا. في المباراة النهائية، في أولمبياد لوس أنجلوس عام ١٩٨٤، وكان اللاعب الياباني مصابا في رجله اليسرى، وأثناء المباراة كان مدرب رشوان يصرخ، ويأمره بأن يضرب خصمه الياباني في رجله اليسرى، ولو استجاب لأوامر مدربه وضرب خصمه في رجله اليسرى، لتفوق عليه، ونال الميدالية الذهبية، ولكن رشوان لم يطع مدربه، وخسر المباراة، وأثناء المؤتمر الصحافي، سأل الصحافي رشوان: لماذا لم تضرب الياباني في رجله اليسرى، كما كان مدربك يقول لك، وتحصل على الذهب ؟ فرد عليه رشوان: "ديني يمنعني أن أضرب مصابا". فالنزوعية هنا أن رشوان عمل بمبادئ دينه، كمعتقد وقيمة، وبالتالي لم "يطع" مدربه، أما الموقفية فهو أن يعمل وفق ما يطلبه الموقف، أن يطيع مدربه، ويضرب خصمه في رجله اليسرى، وينتصر، ويحصل على الميدالية الذهبية.

هل أطاع كل المبحوثين القائم بالتجربة في تجارب ميلغرام ؟

إن الاتجاه الموقفي في مواجهة الاتجاه النزوعي يواجه مشكلة معقدة في عجزه عن تفسير رفض ٣٥ % من المبحوثين أن يطيعوا السلطة عندما جاءت تلك الأوامر مخالفة لما تمليه عليهم ضمائرهم، أو قيمهم. وهذه النسبة من المبحوثين، وإن كانت تمثل أقلية (الثلث)، فهي أقلية لا يستهان بها، غير أن ميلغرام لم يعط أهمية كبيرة لأولئك الذين رفضوا الإذعان للأوامر، لكن خبرات هؤلاء المبحوثين وقيمهم، ونزعاتهم، يبدو أن لها دور حاسم في قراراتهم، بحيث شعروا معها بأنهم يملكون خيارات أخرى غير الإذعان. ومن بين أولئك الذين رفضوا توجيه الصدمات الكهربائية للمتعلم، امرأة نشأت في ألمانيا النازية، وهي عاملة تقنية في المجال

الطبي، أطلق عليها ميلغرام في كتابه اسم "غريتشن براندت Gretchen Brandt". إذ يبدو أن هذه المرأة أدركت أوجه الشبه بين الأحداث الواقعية التي جرت في ألمانيا، وما طُلِب إليها القيام به في تجربة ميلغرام، وكان الشخص الآخر غير المطيع، أستاذا في العهد القديم (التوراة). وهناك من رفضوا الإذعان للأوامر لأنهم اعتقدوا أن ما طُلِب إليهم فعله كان خطأ. وهذا ما يبين أن النزعات (قيم ومعتقدات وأخلاق) كان لها تأثير قوي لدى ٣٥ % من المبحوثين في تجارب ميلغرام، هم الذين رفضوا الإذعان. (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٩٢ . ٩٣).

الإذعان المبالغ فيه للسلطة (نتائج الطاعة المطلقة للسلطة).

وحتى يوجد مجتمع لا بد من احترام المؤسسات والناس للسلطة، إلا أن المجتمعات تختلف في توجهاتها للسلطة، فالإذعان المبالغ فيه للسلطة، يمكن أن يؤدي للإبادة الجماعية. (Staub, 1989; Kressel, 2002). ويعتقد ميلغرام، أن الأشخاص الذين اعتادوا على الإذعان، يظهرون وكأنهم يجدون صعوبة أكبر في الوقوف وحدهم في مواجهة مشاكل الحياة أو صراع المجموعات. ومن الممكن أن يكونوا أكثر تأثرا بهم، ويستجيبوا أكثر بالبحث عن زعماء لتتبعهم والإذعان لهم. وتسليم أنفسهم للمجموعة. كما أنهم لا يعارضون السياسات والممارسات غير الأخلاقية والهدامة مما يسمح بتطور العنف أن يأخذ طريقه، ويمكن جدا أن يذعنوا للأوامر المباشرة من السلطات لإنزال الضرر بالآخرين. (Milgram, 1994). (ارفين شتاوب، دانيل بار تاب، ٢٠١٠، ١٢٠٠).

وقد يكون الاحترام الشديد للسلطة جزءا من الثقافة، وقد يكون متجسدا في الطبيعة التراتبية لمؤسسات التنشئة الاجتماعية، ففي رواندا، على سبيل المثال، كانت السلطات معيّنة على مستويات عديدة في المجتمع، بدأ بمجموعة صغيرة من العائلات في كل قرية، وكان تقليد الانصياع والطاعة لتلك السلطات سببا مهما في اشتراك عدد كبير من الأفراد في عمليات القتل أثناء الإبادة الجماعية في عام ١٩٩٤. وصدرت الأوامر للناس بالقتل أحيانا كشكل من أشكال العمل المجتمعي. (Des Forges, 1999; Prunier, 1995; Staub, 1999). (ارفين شتاوب، دانيل بار تاب، ٢٠١٠، ١٢٠٠).

وللظروف المحرضة والثقافة آثار نفسية تجعل من مجموعات من الناس أكثر اتجاها نحو العنف ضد الآخرين. وفي هذه الظروف تظهر مجموعة من الزعماء والنخب الذين يؤدون دورا مهما في إدارة عمليات مدمرة، بل يؤدون هذا الدور بالفعل. وعادة ما يكون هؤلاء الزعماء هم الذين يبنون الإيديولوجيات المدمرة، فينشئون مؤسسات توجه أو ترتكب عنفا، كالمجموعات شبه العسكرية. (Staub, 1999). وتعد رواندا أحد الأمكنة التي أدت فيها تلك المجموعات شبه العسكرية دورا مركزيا في إطالة عملية الإبادة الجماعية. (Des Forges, 1999). ويقوم الزعماء بكل ذلك لكسب التابعين وتدعيم سلطتهم ونفوذهم عليهم. (Allport, 1954). أو حماية مواقعهم كأعضاء في النخب. (ارفين شتاوب، دانيل بار تاب، ٢٠١٠، ١٢٠٢).

لماذا يطيع الناس ؟

هناك نزعة نحو طاعة السلطة التي تتحول بعد ذلك إلى وساطة. استبعد ميلغرام الشخصيات السادية. فلماذا إذن، كانت كل هذه الطاعة في تجارب ميلغرام المتكررة، وطبقا لما يقوله ميلغرام: إن معظم الناس يفترضون شرعية الطاعة للسلطات، حيث يرى الناس أنفسهم، أن عليهم واجبات تجاه السلطة، كما أنهم يريدون أن يكونوا مهذبين ويفوا بوعودهم ويساعدوا. كما أن قيما؛ كالوفاء والنظام والتضحية بالذات، قد تعمي الأفراد عن اتخاذ العنف تجاه السلطة، أيضا. كما يعتقد ميلغرام، أيضا، أن الناس قادرون، إلى حد ما، على إدانة شخصياتهم. (لندا ل. دافيدوف، ١٩٨٣، ٧٦٥).

وأكثر من هذا، يرى ميلغرام أن البشر يولدون وهم يحملون استعدادا بيولوجيا لطاعة السلطة، أي أن الناس يولدون وهم يحملون نزعة أساسية للطاعة، ويتأكد ذلك في مؤسسات التطبيع الاجتماعي (الأسرة والمدرسة والجامعة والعمل والثكنة العسكرية ومؤسسات تطبيع أخرى كثيرة). وهذا يعارض الموقفية المتشددة (مثل المدرسة السلوكية) التي تنظر إلى الدماغ البشري على أنه يكون صفحة بيضاء عند الولادة، ثم تسجل عليه البيئة ما هو متاح من خبرات. إن الافتراض الذي قال به ميلغرام، يمثل الحجة الأساسية للقائلين إن النزعات تكون موجودة عند الولادة. لكن ورغم هذا الكلام عن النزوعية، يظهر ميلغرام موقفيا، حيث يؤكد أن هذا الميل النمائي يتفاعل مع العمليات الاجتماعية وظروف محددة، يجد الأفراد أنفسهم فيها

ليؤدي ذلك إلى مستويات معينة من الطاعة. (Milgram, 1974). فهناك عوامل، بعد ذلك، جعلت المبحوثين أميَل إلى الطاعة، حتى قبل الوصول إلى التجربة (نتيجة للتنشئة على الطاعة في مؤسسات التطبيع الاجتماعي). وتفاعلت هذه بدورها مع الظروف التي صنعتها التجربة لتستدعي الطاعة على المستوى الذي لوحظ في هذه التجارب. وبعد أن أطاع الأفراد، انتقلوا إلى حالة يدعوها ميلغرام "حالة الوساطة" Agentic State. وتمثل ظرفا نفسيا يرى الأفراد أنفسهم فيه، أنهم غير مسؤولين عن أفعالهم (لأنهم مجرد منفذين للأوامر). (Milgram, 1974). (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٩٠ . ٩١).

ما حدود طاعة الناس للسلطة ؟

تم البحث فيما تم إنجازه في التجارب التي تم عرضها في فقرات سابقة من هذا الفصل عن حدود الطاعة، أي إلى أي مدى يستجيب الناس لأوامر السلطة وينفذونها مهما كانت نتائجها. فقد كان المتعلم (الضحية) يشكو مما يتعرض له من أذى بسبب الصدمات الكهربائية، لكن المبحوثين استمروا في إعطاء تلك الصدمات كما كانوا يؤمرون، وطلب منهم المتعلم أن يتوقفوا بامتناعه عن الإجابة على الأسئلة التي كانت توجه إليه، ومع ذلك استمر المبحوثون يوجهون إليه الصدمات الكهربائية، وقام المبحوث بوضع يد المتعلم عنوة على مفتاح توجيه الصدمة في ظرف (القرب حتى التلامس)، لكن المبحوثين استمروا في الإجراء نفسه. وكان قرابة ربع المبحوثين استمروا في إعطاء الصدمات الكهربائية حتى نهايتها. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٤٨).

هذه النتائج التي أسفرت عنها التجارب، تؤكد أن الطبيعة الإنسانية تتوفر على وحشية قاتلة تكشف عن نفسها عند

مسايرتها لسلطة حاقدة Malevolent. فهناك نسبة من البشر ليست بالقليلة، تعمل ما تؤمر به بغض النظر عن طبيعة ما تفعله، وبغير قيود من الأخلاق أو الضمير، وتقوم بذلك، ما دامت الأوامر تأتي من سلطة شرعية. وهذا ما قاله ميلغرام في نهاية كتابه. (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٩٣).

إذا كان القائم بالتجربة في هذه التجارب، شخصا غير ذي أهمية اجتماعيا أو سياسيا، يستطيع بنجاح، أن يأمر بنجاح راشدا في الخمسين من عمره، أن يستمر في توجيه صدمات كهربائية، وينفذ هذا الراشد الأوامر، رغم اعتراضات الضحية (المتعلم)، يمكن هنا التصور، أنه يمكن لأي سلطة حقيقية وقوية، بما تملكه من سلطة شرعية، ومكانة كبيرة أن تأمر من يقعون تحت مسؤوليتها، أن يقوموا بأفعال وحشية وغير إنسانية. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٤٨ . ٤٤٩).

فقد كتب في هذا الموضوع، هارولد لاسكي (Harold Laski, 1929). "تعني المدنية والحضارة، قبل كل شيء، عدم الرغبة في الوقوع في مشكلات غير ضرورية: وفي حدود هذا التعريف، فإن البعض من الناس ممن يقبلون أوامر السلطة بغير تمحيص، لا يمكن اعتبارهم متمدينين ولا متحضرين". (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٩١).

مستويات الطاعة وعدم الطاعة.

هناك نتيجة عامة تستحق الاهتمام؛ المستوى المرتفع من الطاعة الذي ظهر في الموقف التجريبي، والميل الدائم للمبحوثين إلى الاعتراض الحاد على إعطاء الصدمات الكهربائية للرجل (المتعلم) الذي يعترض على ذلك في مواجهتهم، ووصف آخرون منهم ذلك بأنه نوع من الغباء والجنون، لكن الكثير منهم نفذوا التعليمات في الوقت نفسه الذي يعترضون عليها، بدرجة تتجاوز توقعات القائم بالتجربة ومساعديه، ففي حين كانت توقعات القائم بالتجربة ألا يتجاوز المبحوثون مستوى الصدمات المسمى (صدمة قوية)، إلا أنه وجد بالممارسة، أن المبحوثين كانوا مستعدين لتوجيه أقوى الصدمات المتاحة عندما أمرهم القائم بالتجربة بذلك.

كانت التجربة لدى البعض من المبحوثين فرصة للتفريغ عن العدوان، ولدى البعض الآخر منهم أظهرت التجربة مدى استعدادهم الكبير للطاعة المغروسة فيهم، حيث كانوا حريصين على أداء ما كان يطلب منهم، بغض النظر عن آثار ذلك على الآخرين، لكن لم يكن ذلك كل الموضوع، فإلى حد ما، يصير الشخص منغمسا في الموقف بما لا يسمح له بالخروج عليه. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٤٤ . ٤٤٥).

فالفرد عند دخوله إلى المعمل التجريبي، يصير جزءا من موقف التجربة، ويتحدد سلوكه بقوة الدفع الذاتي لهذا الموقف، وعلى ذلك تكون مشكلة المبحوث، هي كيفية التخلص من الموقف الذي يتحرك برمته في اتجاه غير مرغوب.

إن صعوبة التخلص من الموقف، توضح القُوي التي تدفع بالشخص للاستمرار في البقاء أمام جهاز توليد الصدمات الكهربائية، فهل تُفهم هذه الضغوط باعتبارها مجرد دوافع شخصية نابعة من ديناميكيات الشخصية، أو يمكن النظر إليها كتأثيرات اجتماعية وضغوط نشأت من المجال الموقفي ؟

إن التفسير الكامل لسلوك المبحوثين، ينبغي أن يأخذ هذه القوى جميعها بعين الاعتبار؛ فالفرد لديه استعدادات استجابية نحو السلطة، ونحو العدوان، وفي الوقت نفسه يصير متأثرا بالبناء الاجتماعي الذي يشكل حقيقة موضوعية في ذلك الموقف. (ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر، ١٩٩٣، ٤٤٦).

نسبة الذين يطيعون السلطة.

تبين من نتائج تجارب ميلغرام، أن ٦٥ % من المبحوثين أطاعوا السلطة، ومثل هؤلاء من النازيين الذين قاموا بقتل اليهود في ألمانيا، ومثلهم من ارتكبوا جرائم إبادة التوتسي من الهوتو في رواندا.

طاعة السلطة والإبادة الجماعية في رواندا.

سئل فرانسوا كزافيي نكورونزيزا Francois Xavier Nkurunziza، وهو محام من كيغالي (عاصمة رواندا)، أبوه من الهوتو (Hutu) وأمه من التوتسي (Tutsi)، عندما سئل عن سبب إقدام العديد من الروانديين، عام ١٩٩٤، على قتل أناس كانوا جيرانا لهم في كثير من الحالات، فأجاب: *الامتثال (الطاعة) عميق جدا، ومتجذر جدا في التاريخ الرواندي، الجميع يطيعون الأوامر. الناس يحترمون القوة، وليس هناك كثير من التعليم، خذ سكانا فقراء وجهلة وأعطهم سلاحا، وقل لهم: "هذا لك، خذ واقتل"، فإنهم سيطيعون. إن الفلاحين الذين دفع لهم أجر، أو تم إجبارهم على القتل، كانوا ينظرون إلى ذوي المكانة الاجتماعية الاقتصادية*

العليا ليقرروا كيف يتصرفون. لذا، فإن ذوي النفوذ (....) هم الرجال الكبار أصحاب القرار في القتل الجماعي. قد يعتقدون أن هؤلاء لم يقتلوا لأن أيديهم لم تتلطخ بالدماء، لكن الناس كانوا يأخذون الأوامر منهم. وفي رواندا يمكن أن تلقي الأوامر بهدوء". (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٩١).

تقليل القيمة وغياب الكراهية في تجارب ميلغرام.

ويصف فيليب جوريفيتش: في كتابه: قصص من رواندا Stories from Rwanda: "*نود أن نعلمكم أننا سنُقتل غدًا مع عائلاتنا*". We wish to inform you that tomorrow we will be killed with our families. وصفا يثير القشعريرة، لما حدث في الحالة الرواندية، وكيف جرى تجريد التوتسي من إنسانيتهم في عيون الهوتو على مدى السنين قبل وقوع القتل الجماعي في عام ١٩٩٤، فقد قال جوريفيتش: "*كان أهل التوتسي يوصفون في رواندا بـ إينينزي Inyenzi، أي الصراصير*". (Philip Gourevich, 1998). "*وجرى إطلاق هذا الاسم بداية من عصابات التوتسي التي حاربت نظام الهوتو الجديد، الذي تولى السلطة في ثورة عام ١٩٥٩، بعد أن عانوا طويلا من التمييز*". (Philip Gourevich, 1998). وكان هذا الاسم يستعمل على راديو رواندا باستمرار بعد مقتل الرئيس الهوتي هايبياريمانا، وكان المذيعون يحرضون الهوتو على قتل التوتسي. (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٩٤).

وفي تجارب ميلغرام قال المبحوثون كلاما مهينا للمتعلم، حيث قال أحد المبحوثين منهم، مبررا تقديمه للصدمات الكهربائية ذات القوة الكبيرة التي وجهها للمتعلم: "*إنه يستحق ذلك، فقد كان غبيا جدا*"، على أن هذا الجانب، أي كيفية تبرير المبحوثين للصدمات الكهربائية التي عاقبوا بها المتعلم، لم يكن ظاهرا في تصميم ميلغرام لتجربته. وهناك جانب آخر كان غائبا عن تجارب ميلغرام، وهو العامل الانفعالي القوي، المصاحب للقتل الجماعي عادة، فإلى جانب الغياب التام للكراهية والعنصرية في الموقف (التجربة) الذي تصنّعه ميلغرام، لم يكن هناك أي مبرر لـ "إهانة" المبحوثين للمتعلم الذي يوجهون إليه الصدمة. وبالمقارنة، وكما يشير آدم جونز: "*يصعب أن نجد حالة قتل جماعي في التاريخ أو في الوقت الحاضر، لا يكون فيها الإذلال دافعا رئيسيا*". (Jones, 2006). والمثال الواضح على ذلك، مشاعر الحنق والمهانة

التي اعترت الألمان بعد فرض معاهدة فرساي العقابية عام ١٩١٩. واجتمع إلى جانبها التضخم المفرط لعام ١٩٢٠، والركود الكبير في الاقتصاد، كل ذلك جعل كثيرا من الألمان يبحثون من حولهم عن "كبش فداء" يحملونه اللوم على ما حل بهم من مصائب. (Jones, 2006). وبالمثل، حدث في رواندا، أن المستعمرين البلجيك وغيرهم من الغربيين، ميزوا عن قصد ضد الهوتو وحاربوا التوتسي، وعاملوهم كطبقة متميزة، مما نمّى الاستياء، الذي لا مفر منه، لدى الهوتو. (Gourevich, 1998). وبوجه عام، يبدو أن ظروفا اقتصادية . اجتماعية معينة، تؤدي إلى وقوع قتل جماعي، أو أنها، على الأقل، تهيئ الظروف المناسبة لوقوعه. (Kresten Renwick Monroe, 1995). (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٩٤ . ٩٥).

نسبة الذين لا يطيعون السلطة.

وهناك ٣٥ % من المبحوثين في تجارب ميلغرام، رفضوا طاعة السلطة، ومثل هؤلاء من اعترضوا على إبادة اليهود من قبل النازيين في ألمانيا، ومثل هؤلاء من قاموا بإنقاذ الكثير من التوتسي من القتل والإبادة.

بالنسبة لما حصل من الإبادة لليهود في عهد النازية، كان هناك العديد من رفضوا المشاركة في إبادة اليهود، وعملوا ضد النازيين. ومن أبرز هؤلاء، ؤسكار شيندلر Oscar Schindler، الصناعي الألماني الذي خاطر بكل شيء لحماية المئات من اليهود. وهناك الكثير من خاطروا حتى أكثر مما خاطر به شيندلر لحماية أناس غرباء عنهم تماما. وهناك شخص يدعى راؤول والنبيرغ Raoul Wallenberg، وشخص آخر يدعى بير انجر Per Anger، وهما دبلوماسيان سويديان، أنقذا ما يقارب ١٠٠.٠٠٠ يهودي مجري من أفران الغاز باستعمال الحصانة الدبلوماسية وإصدار جوازات سفر سويدية مزيفة. وقام القس الألماني ديتريش بونهوفير Dietrich Bonhoeffer، بالهجوم على النازية في مواعظه في كنيسته وتم إعدامه لاحقا. (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٩٣).

وفي حالة رواندا، قام رجل أعمال من الهوتو يدعى بول روسيسباجينا Paul Rusesbagina، بإنقاذ ما يزيد عن ألف

رواندي معظمهم من التوتسي، بإيوائهم في فندق ورشوة المسؤولين بالويسكي، والمال، وغير ذلك، وساهم فيلم "ؤتيل رواندا"

في ذيوع شهرته. (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٩٣).

فشل النظرية التي ترى أن مرتكبي القتل الجماعي مرضى نفسيا.

إذا كان ممكنا اعتبار مرتكبي المجازر الجماعية والإبادة الجماعية، مرضى نفسيا، لأن كثيرين يفترضون أن هؤلاء لا بد أن يكونوا أشخاصا غير أسوياء، بصفة ما، أو حتى مختلين عقليا، إلا أن البحوث عن سيكولوجية سلوك مرتكبي المجازر والإبادة الجماعية، التي أجراها جون هورغان (John Horgan, 2005)، وأندرو سيلك (Andrew Silke, 2004)، أسقطت هذه النظرية الشائعة من الاعتبار، إلى حد كبير. كما أن محاولات اكتشاف الشخصية المرتكبة للقتل الجماعي، أو وسم جميع هذه الشخصيات بسمات غير سوية، باءت جميعها بالفشل. لذا فإنه لم يبق سوى الاستنتاج الذي خرج به ميلغرام لتفسير الإبادة الجماعية، وهو أن الناس العاديين (الأسوياء) يمكن أن يرتكبوا أفعال عنف متطرفة في ظروف معينة، بمعنى أن البحوث ترجع سلوك القتل والإبادة الجماعية إلى قوى موقفية. (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٣٣). ومنها طاعة السلطة عندما تعطي الأوامر.

التصرف وفق الاخلاق.

هناك قدر كبير من البحوث في علم النفس الاجتماعي، توحي بأن الغالبية العظمى من الناس، لن يتصرفوا في ظروف قاسية ومؤلمة بدافع أخلاقي. فقد كانت واحدة من أبرز النتائج التي توصل إليها ميلغرام، هي أن معظم الناس، على الرغم من استنكارهم الشديد لإمكان التصرف بطريقة غير أخلاقية، إذا ما واجهوا مشكلات، إلا أنهم سيخالفون هذه التوقعات إذا ما تم وضعهم في تلك المواقف فعلا. ويؤكد عالم النفس الاجتماعي/ فيليب زمباردو (Ph. Zimbardo, 2007)، من جامعة ستانفورد الأمريكية، أن المواقف التي يجد الناس العاديون الطيبون أنفسهم فيها، قد تجعلهم يتصرفون بطرق غير أخلاقية. وباختصار، بينما يحمل معظم الناس قيما ومعتقدات يفترض أنها تحول دون قيامهم بالأفعال الشريرة، إلا أن قوة المواقف

المحيطة بهم، قد تطغى في أحيان كثيرة على تلك القيم والمعتقدات. وهذا ما يعرف بـ "الحتمية الموقفية Situational Determinism". (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٤٠ . ٤١).

تحمل المسؤولية جماعيا (الشر المنظم جماعيا).

إن فعل الشر كثيرا ما يكون نتيجة نهائية لسلسلة من الأفعال لا يتحمل مسؤوليتها شخص واحد بعينه.

لقد وجد ميلغرام أن توزيع مسؤولية اختبار المتعلم وعقابه على عدد من المبحوثين، تزيد نسبة الطاعة بشكل ملحوظ. وربما يكون لواقع الحال هذا انعكاس سياسي واضح تماما، من حيث إن مهمات أي قرار سياسي أو تنفيذه، تتوزع في الغالب على سلسلة من الأفراد، وهذا ما يدعوه ميلغرام "الشر المنظم جماعيا"، حيث لا يكون هناك شخص واحد مسؤول عن عمل معين وحده. (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٨٩).

وربما فكرة "الشر المنظم جماعيا"، تفسر معظم الأعمال التي كانت نتيجتها القتل الجماعي أو الإبادة الجماعية في كثير من الأماكن في العالم، ولعل أشهرها القتل الممنهج لليهود من قبل النازيين، وإبادة التوتسي من قبل الهوتو في رواندا، (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٨٩ . ٩٠).

وعندما تتحدث مؤلفات الباحثين في الجامعات الغربية عن القتل الجماعي للذين لا يحملون السلاح، يقدمون أمثلة باليهود في عهد النازية، وبالتوتسي في رواندا، لكن هناك عمليات قتل للمدنيين باستمرار في المجتمعات الإسلامية، خاصة، الذي تمارسه الجماعات المسلحة المتطرفة في هذه المجتمعات. وحتى الحكومات، كما حدث في مصر في حادثة رابعة العدوية، ويتم حدوث هذا كله بسبب الخضوع لطاعة صاحب السلطة.

الفرق بين ما يعرفه المبحوثون في التجربة وما يعرفه من يمارسون القتل الجماعي.

إن ما يعرفه المبحوثون في الموقف التجريبي (في تجارب ميلغرام) يختلف عما يعرفه من يمارسون القتل الجماعي، رغم

أن ما يقومون به كان بسبب طاعة لسلطة شرعية. إن ما يعرفه المبحوثون في الموقف التجريبي متضمن في ذلك الخطأ الذي ارتكبه القائم بالتجربة أثناء توجيه التعليمات إلى المبحوثين، بأن تلك الصدمات الكهربائية لن تلحق ضررا بصحة المتعلم، في حين أن من يشاركون في القتل الجماعي والإبادة الجماعية، يعلمون يقينا أنهم يلحقون أذى حقيقيا بالآخرين، يفوق سوءا كل ما عداه من أنواع الأذى الأخرى. (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٩٣).

تقويم تجارب ميلغرام عن الطاعة

يعتقد بعض العلماء السلوكيين، أن تجارب ميلغرام كانت لا أخلاقية وقاسية. فهناك شك قليل في أن الدراسات كانت تسبب نوعا من الضيق للكثير من المشاركين فيها. كما كانت هناك نوبات من عدم التحكم في ثلاث حالات، فقد لوحظ أن الكثير من المشاركين في التجارب يعرقون، ويتلعثمون، ويرتجفون، ويعضون على شفاههم، ويحفرون بأظافرهم في لحمهم. (Milgram, 1963). (لندا ل. دافيدوف، ١٩٨٣، ٧٦٦).

هل استنتاجات ميلغرام قابلة للتطبيق على مواقف الحياة الحقيقية ؟ على الرغم من أن علماء النفس لم يصلوا إلى اتفاق قاطع حول هذه القضية، إلا أن الكثيرين يشعرون بأن الاستبصار المكتسب ينطبق بالفعل على المواقف التي بها أفراد ذوو سلطة ضاغطة. وترى دراسات الطاعة أن هناك أمورا مفجعة كامنة، إذا كنا غير مدركين لقدرة القوى البشرية للخضوع إلى أوامر القائد. وأدرك ذلك الكثير من الأفراد. وقام أحد المشاركين في تجارب ميلغرام بوصف استبصاره كما يأتي:

"*ما أفجعني، هو أنني استطعت أن أملك تلك القدرة على الطاعة والإذعان لفكرة أساسية. كفكرة تجربة الذاكرة، بعد أن صار أنه من الواضح أن الالتصاق المستمر بهذه القيمة، كان على حساب خرق قيمة أخرى، ألا وهي لا تؤذي أحدا لا قوة له، خاصة أنه لم يسبب لك أذى. فكما قالت زوجتي: يمكنك أن تسمي نفسك المعذب. وآمل أن أتعامل بطريقة أكثر فعالية مع أي موقف مستقبلي أواجه فيه نوعا من تعارض وتصارع القيم*". (Milgram, 1963). (لندا ل. دافيدوف، ١٩٨٣، ٧٦٦ . ٧٦٧).

هل استطاعت تجارب ميلغرام تفسير عمليات القتل الجماعي ؟

بيّنت تجارب ميلغرام العمليات التي تجعل أناسا طبيعيين عاديين يرتكبون الفظائع، إلا أنه لا يمكن الجزم بأن تلك العمليات وحدها تفسر وقوع القتل الجماعي تفسيرا تاما. إن بحوثه في الطاعة، هي محاولة لا غير لفهم أسباب حدوث القتل الجماعي. ويقول ميلغرام (Milgram, 2006). إنه استطاع استجرار قدر استثنائي من الامتثال لدي مبحوثيه في غياب الكراهية العرقية. ويقول: *"إن النتائج التي شاهدناها وشعرنا بها في المعمل مثيرة للقلق، وتوحي بأن الطبيعة الإنسانية، أو، بشكل أكثر تحديدا، نوع الشخصية التي ينتجها المجتمع الديمقراطي الأمريكي، لا يؤتمن جانبها في تحصين المواطنين ضد أوامر سلطة حاقدة Malevolent تأمر بالقسوة، والمعاملة اللاإنسانية. إن نسبة كبيرة من الناس يفعلون ما يقال لهم أن يفعلوه، بغض النظر عن مضمون ما هو مطلوب، ومن دون رادع من ضمير، ما داموا يرون أن الأمر يصدر من سلطة شرعية"*. (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٩٥ . ٩٦).

وإضافة إلى ذلك، فإن نموذج ميلغرام وحده، لا يقدر على تفسير جميع مظاهر القتل الجماعي، على الرغم من أنه أوضح العديد من القوى النفسية التي تجرف الناس العاديين وتجعلهم يسيرون في إثرها في مثل هذه المواقف. فهناك شيء كان غائبا عن تجارب ميلغرام، لكنه كان حاضرا في كل أو معظم جرائم القتل الجماعي، المعبر عنها في النزعة أو الميل الممنهج والمنظم لتجريد الضحايا من خصائصهم الإنسانية. ويقول جيمس والر، في هذا الصدد: *"إن وضع الضحايا خارج دائرة واجباتنا الأخلاقية، واعتبارهم غير جديرين بالعطف، تبعا لذلك، يزيل الضوابط الأخلاقية أمام ارتكاب البشر للعدوان. إن جسد الضحية المجرد من بشريته لا معنى له، هو نفاية، وإزالته أمر يتطلّب النظافة لا غير. وفي هذه الحالة، لا يكون هناك أي إطار أخلاقي أو عاطفي يربط المعتدي بالضحية ويردعه عن قتله"*. (James Waller, 2002). ولعل تجريد اليهود من إنسانيتهم في أوروبا (في النصف الأول من القرن العشرين) هو أوضح مثال على هذه الحالة. (دايفيد باتريك هوتون، ٢٠١٥، ٩٤).

خاتمة وتعقيب.

إن الشخصية المتسلطة، أو السلطة المتسلطة، ظاهرة عامة ومنتشرة في كل المجتمعات، وفي كل الأزمنة، كما أن ظاهرة التعصب، أيا كانت أشكاله وصوره، ظاهرة عامة ومنتشرة كذلك في كل المجتمعات وفي كل الأزمنة، ولها أسباب وعوامل متباينة، كما أن ظاهرتا التسلطية والتعصب، قد تكونان محدودتين وتتعلقان بفرد أو بعدد قليل من الأفراد، وقد تكونان قويتين وواسعتي الانتشار، فتكون لهما آثار مدمرة.

وفي هذا المقال تم عرض نظريتين غربيتين في علم النفس الاجتماعي السياسي، تناولتا ظاهرة التعصب المفسر بالشخصية التسلطية، وظاهرة التعصب المفسر بعوامل اجتماعية ثقافية. وقامت النظريتان على البحث في موضوع التمييز العنصري والعرقي (البيض ضد السود) في كل من الولايات المتحدة الأمريكية، وفي جنوب افريقيا.

ثم انتقل الاهتمام البحثي في علم النفس الاجتماعي السياسي، إلى محاولة فهم ظاهرة القتل الجماعي أو الفردي، أو إلحاق الأذى بالآخرين، أو إبادتهم، دون ذنب ارتكبوه، كما حدث في ألمانيا النازية ضد اليهود، والهوتو ضد التوتسي في رواندا. وحدث القتل الجماعي في الماضي، ويحدث في كل الأزمنة والعصور في أماكن مختلفة من العالم، وكان يتم تنفيذا لأوامر السلطة الشرعية (كما يراها المأمور/ المنفذ)، وأيا كانت السلطة، سواء سلطة سياسية، أم سلطة عسكرية، أم سلطة دينية أم غيرها،

وأجرى ميلغرام تجربة على سلوك الطاعة لتنفيذ أعمال مؤذية للغير وغير إنسانية، في محاولة لمعرفة دور الطاعة في حدوث هذه الفظائع، المتمثلة في الإبادة الجماعية للناس دور ارتكابهم لأي ذنب.

وفي تجارب ميلغرام الشهيرة، أطاع ٦٥ % من المبحوثين (المعنيين بطاعة السلطة)، ولم يطع ٣٥ % منهم، وكان المبحوثون مدنيين، والقائم بالتجربة الذي كان يعطيهم الأوامر، بصفته سلطة، مدني أيضا، بمعنى أن المواقف التجريبية لم تكن في حالة حرب، أو بدوافع التعصب أيا كان شكله، كما أن الذين قاموا بحماية اليهود من الإبادة في ألمانيا النازية، والذين

قاموا بحماية التوتسي من تعرضهم للقتل من قبل الهوتو، لم يكونوا من الذين تلقوا الأوامر بتنفيذ عمليات القتل، بل كانوا أشخاصا في مواقع أخرى؛ دبلوماسية ودينية.

والأمر سيختلف لو تكون السلطة التي تعطي الأوامر بالقتل والإبادة، سياسية أو عسكرية فعلية، فإن عدم طاعتها تترتب عنه عواقب سيئة للشخص غير المطيع، ويمكن تقسيمها كما يأتي.

١. السلطات السياسية. حدث أن أمرت السلطات السياسية، في أماكن كثيرة في العالم، مسلحين من أتباعها، بتصفية جماعات مناوئة لها، ودون محاكمة. كما حدث في حرب يوغوسلافيا (سابقا)، وفي إسرائيل ضد الفلسطينيين، وفي الجزائر، وفي العراق، وفي سوريا، وفي الصومال، وفي اليمن، وفي باكستان، وفي أفغانستان وغيرها، والمسلحون، أيا كان نوعهم، وفي أي مكان، لا يمكن أن يرفضوا أوامر السلطة، وإلا تعرضوا للتصفية، أو الملاحقة العقابية، أيا كان نوعها ومستواها.

٢. السلطات العسكرية. حدث أن أمرت السلطات العسكرية، أثناء الحروب، سواء كانت حروبا خارجية أم حروبا داخلية (أهلية). عسكرها بإلحاق الأذى بطرق مختلفة، أو القتل، دون محاكمة، سواء كان فرديا أم جماعيا، سواء بأفراد من العدو الخارجي، أم بأفراد من العدو الداخلي (في الحروب الأهلية)، وهؤلاء أيضا لا يستطيعون رفض الأوامر العسكرية، وإلا تعرضوا للمحاسبة والعقاب.

شاهدت، منذ سنوات، الفيلم الليبي "عمر المختار"، وفي أحداث الفيلم، أمر الجنرال الإيطالي/ رودولفو غراتسياني، الذي أعدم عمر المختار، شنقا، أحد الجنود الإيطاليين أن يطلق النار على رجال ليبيين، فرفض ذلك الجندي تنفيذ الأمر، فأمر الجنرال أحد الضباط الإيطاليين، سرا، بأن ذلك الجندي (غير المطيع) ينبغي أن يعدم، إذن، صدر الأمر، وفعلا، ففي إحدى عمليات تمشيط قام بها الجيش الإيطالي، في إحدى الغابات، جاء ذلك الضابط خلف ذلك الجندي، وأطلق عليه النار من الخلف، فأرداه.

٣. الجماعات المسلحة. وتوجد هذه الجماعات المسلحة في الكثير من الدول والمجتمعات الواقعة في جنوب الكرة الأرضية، خاصة، وهي جماعات عرقية ودينية وسياسية وقطاع طرق وتهريب وغيرها، ولها سلطات، تأمر سلطات هذه الجماعات، التابعين لها بتنفيذ عمليات قتل وإبادة وتعذيب واغتصاب ونهب، بطرق مختلفة، القتل بالرصاص، أو بالذبح، أو بتفجير قنابل أو تفجير سيارات أو تفجير الأجساد في تجمعات بشرية، ضد أفراد وجماعات أخرى، تخالفها في أصولها العرقية، أو في توجهاتها الدينية أو السياسية، وهؤلاء الذين ينفذون أوامر سلطات هذه الجماعات المسلحة، يكونون عادة من أتباع ذوي السلطة، أي يحملون نفس أفكارهم وتوجهاتهم الدينية أو السياسية، وبالتالي لا يترددون أبدا في تنفيذ تلك العمليات القتالية، بل يتحمسون لها ويندفعون إليها، من أجل أن يحققوا مطالب لتوجهاتهم الدينية. أو أن يحصلوا على مكاسب سياسية. وشبيها بهؤلاء، هناك المرتزقة، أيضا، الذين ينفذون ما يؤمرون به مقابل رواتب مالية.

إنه وفق هذا التحليل، فإن نتائج تجارب ميلغرام، عن الطاعة، لا تفسر ما يحدث في عمليات القتل الجماعي، أو سبب إلحاق الأذى بالآخرين في الواقع، ولم تأت، تجارب ميلغرام، إلا بالقليل من الحقيقة، لكنها فتحت مجالا واسعا لطرح أسئلة جديرة بالبحث، في هذا الموضوع الشائك والمعقد.

المراجع

القرآن الكريم.

إبراهيم عيد (١٩٩٠). *الاغتراب النفسي*. الرسالة الدولية للإعلان.

أحمد زايد (٢٠٠٦). *سيكولوجية العلاقات بين الجماعات . قضايا في الهوية الاجتماعية وتصنيف الذات*. عالم المعرفة العدد: ٣٢٦. الكويت، المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب.

إرفين شتاوب، دانيل بار تال (٢٠١٠). الإبادة الجماعية والقتل الجماعي والنزاع المتصلب: الجذور والتطور والوقاية والتوفيق. في: دافيد أو. سيرز، ليوني هادي، روبرت جيرفيس (محررون). *المرجع في علم النفس السياسي*. ترجمة: ربيع وهبة، مشيرة الجزيري، محمد الرخاوي. مراجعة وتقديم: قدري حفني. الجزء الثاني. القاهرة، المركز القومي للترجمة.

إريك فروم (١٩٧٢). *الخوف من الحرية*. ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد. بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

ت. أ. أنسكو، ج. سكوبلر (١٩٩٣). *علم النفس الاجتماعي التجريبي*. ترجمة: عبد الحميد صفوت إبراهيم. جامعة الملك سعود . عمادة شؤون المكتبات.

جون داكيت (٢٠١٠). التعصب والعدائية بين الجماعات. في: دافيد أو. سيرز، ليوني هادي، روبرت جيرفيس (محررون). *المرجع في علم النفس السياسي*. ترجمة: ربيع وهبة، مشيرة الجزيري، محمد الرخاوي. مراجعة وتقديم: قدري حفني. الجزء الثاني. القاهرة، المركز القومي للترجمة.

جيهان عبد حداد القيسي (٢٠١٧). الشخصية التسلطية وعلاقتها بموقع الضبط لدى طلبة المرحلة الإعدادية. *مجلة كلية التربية للبنات*، المجلد ٢٨، العدد ٤. جامعة بغداد.

دايفيد باتريك هوتون (٢٠١٥). *علم النفس السياسي .أوضاع، وأفراد، وحالات*. ترجمة: ياسمين حداد. مراجعة: سامي الخصاونة. الدوحة . قطر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

عبد الحميد صفوت، محمد إبراهيم الدسوقي (١٩٩٣). إسهامات البحوث النفسية المصرية في دراسة التعصب. *دراسات نفسية*، أكتوبر (١٢)، القاهرة، رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية (رانم).

عبد الرقيب أحمد البحيري (١٩٨٩). الدوجماتية والتسلطية وعلاقتهما بالوعي الديني لدى طلبة الجامعة. *بحوث المؤتمر الخامس لعلم النفس في مصر*. الجمعية المصرية للدراسات النفسية.

عبد السميع سيد أحمد (١٩٩٣). الطاعة ـــ الوجه الآخر للعنف. *دراسات تربوية*، المجلد الثامن، الجزء ٧٥. القاهرة، رابطة التربية الحديثة.

عبد اللطيف محمد خليفة (١٩٩١). العلاقة بين الاتجاهات نحو المسنين والتسلطية. في: عبد اللطيف محمد خليفة (محرر). *دراسات في سيكولوجية المسنين*. مكتبة الأنجلو المصرية.

عطوف محمود يسين (١٩٨١). *مقدمة في علم النفس الاجتماعي*. بيروت، دار النهار للنشر.

فرج عبد القادر طه (١٩٩٣). تسلطية، تعصب، في: فرج عبد القادر طه (تأليف ومراجعة). *موسوعة علم النفس والتحليل النفسي*. بمشاركة: شاكر عطية قنديل، حسين عبد القادر محمد، العميد مصطفى كامل عبد الفتاح. الكويت، دار سعاد الصباح.

كريستيان تيليغا (٢٠١٦). *علم النفس السياسي . رؤى نقدية*. ترجمة: أسامة الغزولي. عالم المعرفة، العدد: ٤٣٦. الكويت، المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب.

لطفي دياب (١٩٦٥). التسلطية والتباعد الاجتماعي لدى طلبة الشرق الأدنى في الجامعات الأمريكية. في: لويس كامل مليكة (إعداد وتنسيق وتقديم). *قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية*. الجزء الأول. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

لندا ل. دافيدوف (١٩٨٣). *مدخل علم النفس*. ترجمة: سيد محمود الطواب، محمود عمر، نجيب خزام. مراجعة وتقديم: فؤاد أبو حطب. الطبعة الثانية. القاهرة، دار مكجروهيل.

لوسيان باي، مارك روس، جون دوكيت وآخرون (محررون) (٢٠١٢). *علم النفس السياسي . أسس ثقافية أحادية وتعددية.* إصدار ستانلي رينشون وجون دوكيت. ترجمة: عبد الكريم ناصف. دمشق . سوريا، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.

محمود السيد أبو النيل (١٩٨٥). *علم النفس الاجتماعي . دراسات عربية وعالمية.* الجزء الثاني. الطبعة الرابعة. بيروت، دار النهضة العربية.

معتز سيد عبد الله (١٩٨٩). *الاتجاهات التعصبية.* عالم المعرفة العدد: ١٣٧. الكويت، المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب.

وليم و. لامبرت، ووللاس إ. لامبرت (١٩٨٩). *علم النفس الاجتماعي* . ترجمة: سلوى المُلّا. مراجعة: محمد عثمان نجاتي. القاهرة، دار الشروق.

BEM B. ALLN (٢٠١٣). *نظريات الشخصية . الارتقاء، النمو، التنوع.* ترجمة: علاء الدين كفافي، مايسة أحمد النيال، سهير محمد سالم. الطبعة الثانية. دار الفكر . ناشرون وموزعون . الأردن . عمّان.

Krech, D. Crutchfield, R. S & Ballachey, E. L (١٩٨٤). في علم النفس الاجتماعي . *سيكولوجية الفرد في المجتمع.* ترجمة: حامد عبد العزيز الفقي. الكويت دار القلم.

Authoritarianism, prejudice, obedience and genocide: Political social psychology perspective.

This study dealt with concepts of authoritarianism, fanaticism, obedience to authority, and mass murder. The study asked a set of questions: What is authoritarianism? What is fanaticism? What is obedience to authority? Is fanaticism the result of authoritarianism only? What were Milgram's findings? Can the mass murder that has occurred and is occurring in various parts of the world be explained by the concepts of authoritarianism, fanaticism, and obedience to authority?

The study worked to answer it through studies by Adorno and his colleagues on authoritarianism through the Fascism Scale, and its extraction of nine traits related to the authoritarian personality. And the factors of its upbringing, such as parental upbringing, then Altmaier's studies. And the cultural factors that give rise to racial discrimination and intolerance. And his concept of right-wing authoritarianism, and the concepts of tendency and positionality regarding racial discrimination and fanaticism. As well as Allport's research on authoritarianism and intolerance. And the characteristics of an authoritarian personality.

Behavior of obedience to authority in an experimental laboratory and the results of the experiment on obedience behavior. And the results related to the cases of the respondents and learners. It also addressed the case of obedience to authority and genocide in Rwanda. The differences between what happens in reality with regard to obedience to authority, submission to it, and the practice of mass murder, and what happened in the Milgram experiments, and the difference also in some factors such as: the reduction of value and the absence of hatred in the Milgram experiments, and the difference between what the subjects of the experiment know and what those who practice mass murder know. . There is collective responsibility for mass murder, i.e. collectively organized evil. In evaluating Milgram's experiments, it was found that they could not explain mass killings and genocide.

Keyword: authoritarianism – prejudice - obedience - genocide – political psychology.